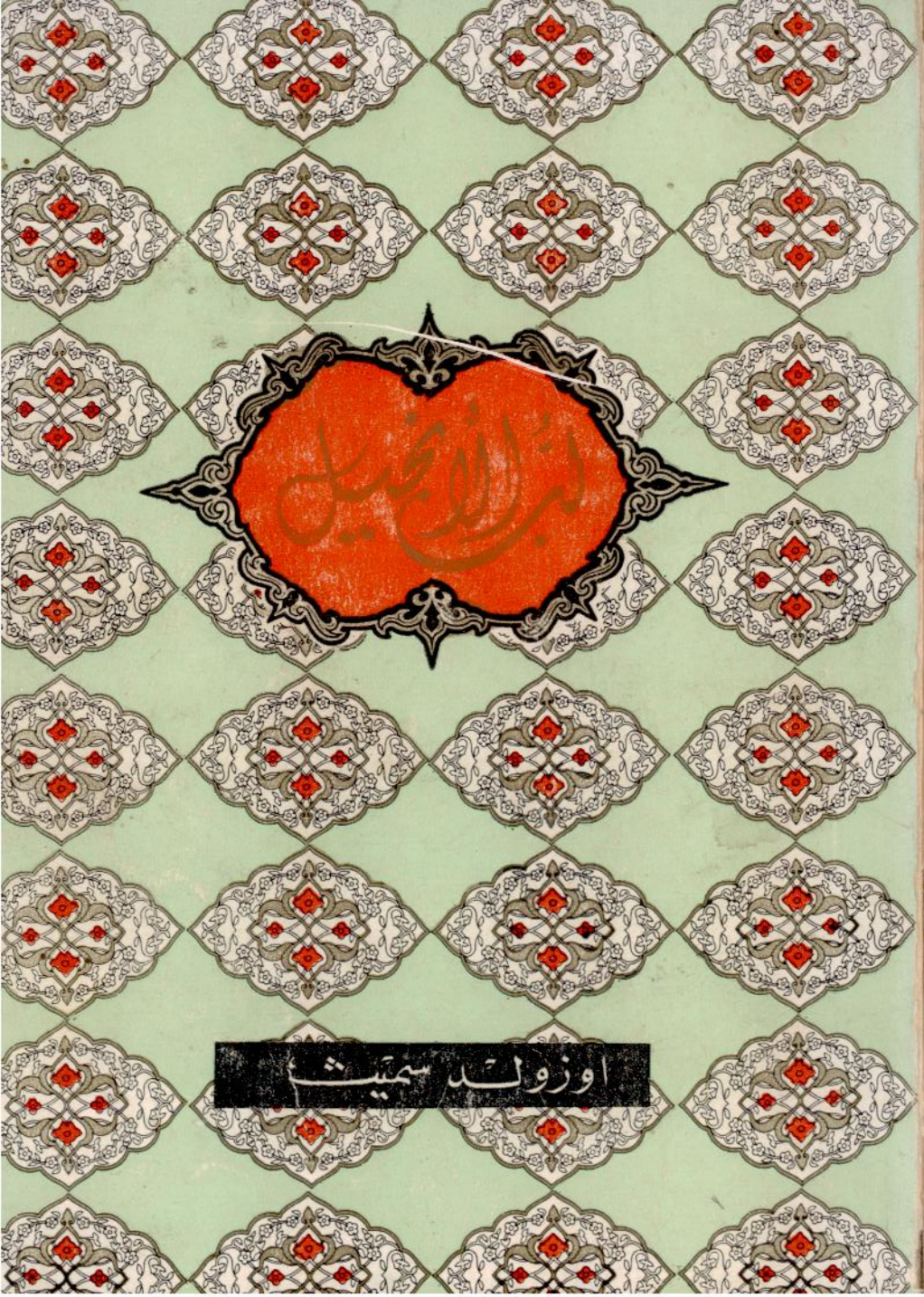

عن الكتاب

الدكتور اوزوالد سميث كاتب أشهر من ان يحتاج الى تعريف فقد نُقلت اكثر كتبه الى عدة لغات .

في هذا الكتاب الذي نزفه اليك ، ايها القارىء الكريم ، يبسط المؤلف ، بغاية الوضوح ، ما هو جوهر الرسالة المسيحية . ولذا اسمينا الكتاب « لبّ الانجيل » .

والدكتور سميث يمتاز بأسلوبة الرشيق الدافق بالحركة والحياة ، كما يمتاز بتفهّمه للمسائل والصعوبات التي تواجه رجل هذا العصر — من جهة الايمان .

وبالتالي فهذا الكتاب يناسب اي شخص فيه تعطّش الى فهم رسالة الانجيل وفيه رغبة الى قبول هذه الرسالة !

الثمن ١٥٠ غرشاً

لبّ الانجيل

تعريب

ريد زخاري

تاليف

اوزوالد ج. سميث

«وهذا هو الخبر الذي سمعناه منه ونخبركم به
أن الله نور وليس فيه ظلمة البتة .

«ان قلنا ان لنا شركة معه وسلكنا في الظلمة
نكذب ولسنا نعمل الحق .

«ولكن ان سلكنا في النور كما هو في النور
فلنا شركة بعضنا مع بعض

ودم يسوع المسيح ابنه يطهّرنا من كل خطية»

(يوحنا الرسول)

لبّ الانجيل

اوزوالد ج. سميث

معرب عن الانجليزية

جميع الحقوق محفوظة

١٩٦٣

صدر عن

مركز المطبوعات المسيحية

ص. ب ٥٠٣٩ – بيروت

رقم ٥٢

محتويات

الطريق الاوحد	٩
هلاك الانسان وعلاج الله	٢٦
السؤال الذي يقرر المصير	٤٠
ما معنى « ان تؤمن » ؟	٥٣
طريق الخلاص	٦٥
الباطل والحق	٨٣
اعظم عظة سمعتُها	١٠٤

١

الطريقُ الأوْحَـد

جلس أحد اصحاب المصارف مقابل رجل اعمال في مكتب المدير. وأخذ رجل الأعمال يتحدث بحماس منقطع النظير وهو يميل الى الأمام، واذا بزميله يقاطعه فجأة قائلاً : يا للسخافة ! يا للحماقة والغباء !

وكان صاحب المصرف يحرّك شفتيـه بكبرياء واحتقار .

وسأله الشخص الذي كان يتحدث اليه : ولكن لماذا ؟

– أتسألني لماذا ؟ وانت الرجل المفكّر صاحب العقل الراجح ؟ يا للكلام الفـارغ ! واخذ يضحك هازئاً .

فاجاب الآخر : نعم انا اسألك لماذا ؟

هنا امتقع وجه صاحب المصرف ، وظهر الغضب في حدة صوته عندما أجاب قائلاً: لماذا؟ هل تقصد ان تقول ان موت يسوع المسيح على الصليب بدلاً عني سيرضي الله ؟ دعك وهذه النظريات! فلو قُدّر

لي ان اخلص فيجب ان أخلص بجهودي انا . قال هذا وضرب بقدمه على الارض بحدة وغضب .

أجاب الآخر : أأنت تظن ان من حقك أن تشق لنفسك طريقاً للخلاص ، ولذلك ترفض وتحتقر التدبير الالهي ؟

فسأل صاحب المصرف ، وهو يحاول ان يخفي ملامح وجهه : وماذا تعني بهذا ؟

اجاب : لنفرض ان انساناً يأتي اليك ويقول : يا سيدي صاحب المصرف ! انني في احتياج شديد ، وارجوك ان تعيرني بعض المال ! قل لي ، من الذي له الحق في وضع الشروط التي بموجبها يمكن اعارة المال ؟ أأنت بوصفك صاحب المصرف ومالكه ، ام الانسان الذي هو في حاجة ؟

فاجاب صاحب المصرف : طبعاً انا . وعلى الطالب ان يقبل كل شروطي قبل ان يأخذ المال .

فاجاب رجل الاعمال : بالصواب حكمت . فهذا هو وضعك يا سيدي ، لانك انت الخاطىء الفقير المحتاج البائس والهالك ، والله هو المالك الاعظم للمصرف . انت تأتيه طالباً الرحمة والغفران ، فهل لك ان تخبرني من له الحق في وضع الشروط التي بموجبها تنال الخلاص متذكراً الآن انك انت الرجل المحتاج وان الله صاحب المصرف ؟

فاجاب صاحب المصرف بصوت حائر : ما كان ليخطر ببالي ، قبل الآن ، ان الامر بهذا الشكل الذي قلت لي عنه . فمن المسلَّم به قطعاً ان لا حق لي مطلقاً في ان أملي على الله شروط خلاصي ، لان الله هو وحده صاحب الحق .

فقال رجل الاعمال: ومع ذلك كنتَ تحاول ان تبتدع لك خطة من نفسك ناسياً او متناسياً ان الفقراء المعوزين لا حق لهم في املاء شروط بل عليهم ان يقبلوا ما يفرض عليهم من التزامات . وفي الوقت نفسه فان الله صاحب المصرف الاعظم يقدم لك الخلاص بحسب تدبيره. فهل لك الآن ان تتنازل عن تدبيرك لتقبل تدبير الله ؟ وهل انت مستعد ان تتقدم الى الله قابلاً شروطه ؟

فاجاب صاحب المصرف بكل تواضع ، وقد اشرق على وجهه نور جديد قائلاً : بمعونة الله سوف افعل .

يا اخي ! يا صديقي ! هل كنت تحاول ان تشق لنفسك طريقاً من صنعك ؟ يوجد كثيرون ممن فعلوا ذلك .

الدين

يظن عدد كبير ان دينهم يخلصهم .

ويروى انه تقدم نبيل بريطاني الى السيدة شركوف من روسيا وسألها : سيدتي كيف حال نفسك ؟

فاجابته الكونتيسة بكل حدة وكبرياء قائلة : يا سيدي ! هذا امر بين الله وبين كاهن اعترافي ؟

ألم تكن هذه السيدة عضواً في الكنيسة الارثوذكسية ؟ ألم تدفع مبالغ ضخمة في صيانتها والابقاء عليها ؟ ألم تعتقد بكل عقائدها وتمارسها عملياً في حياتها؟ ألم تكن امينة ومواظبة على حضور اجتماعات

الكنيسة وخدماتها ؟ فلماذا تقلق ؟ ولماذا تهتم ؟ لقد قامت بواجباتها، وهي تظن ان الامر خرج من يدها ، وان على الكنيسة ان تقوم بادخالها الى السماء .

يا صديقي ! انت ايضاً قد تكون واثقاً كثيراً في عضويتك للكنيسة . ولكن اسمح لي ان اقول لك : ان الدين لن يقدر ان يخلصك ، وان يسوع المسيح وحده هو الذي يخلصك .

قد تنضم الى عضوية اكبر عدد ممكن من الكنائس ومع ذلك تهلك . وليس في مقدور اية كنيسة ان تخلصك ، سواء أكانت هذه الكنيسة لوثرية ام مشيخية أم معمدانية ام اسقفية ام أي مذهب آخر . فانت لا محالة هالك . ولا خلاص لك بأية كنيسة : الخلاص بالمسيح فقط !

الدين لا يستطيع ان يعطي الحياة . وينبغي ان تنال حياة جديدة لكي تخلص .

كان نيقوديموس رجلاً متديناً ولكنه لم يكن مخلّصاً . لذلك قال له يسوع : «ينبغي ان تولد من فوق» (يوحنا ٣:٣). وكان الفريسي متديناً ولكنه لم يكن مخلّصاً (لوقا ٧:٣٦ — ٥٠). وكان كرنيليوس رجلاً تقياً وخائف الله يصنع حسنات كثيرة للشعب، ويصلي الى الله، ويصوم، وكان مشهوداً له من الجميع ، ومع ذلك كلّه كان هالكاً ، وكان يتحتم عليه ان يطلب الخلاص (اعمال ١٠:٢٢) .

ولعل بولس كان اكثر اهل جيله تديناً . فقد كان متعبداً لله منذ طفولته ، وقال هو عن نفسه انه كان غيوراً في سبيل الله ، مختوناً

في اليوم الثامن ، حافظاً للناموس بلا لوم . ومع هذا كله كان خاطئاً في عين الله، وكان هالكاً وهو لا يدري. وكان هو ايضاً في حاجة الى الخلاص لأنه لم يكن عنده بر الله ... اجل كان متديناً ، لكنه كان خاطئاً متديناً . وقد حكم هو على نفسه انه اول الخطاة .

نعم ، ايها العزيز ، ان كان الدين لم يقدر ان يخلص بولس ، ولا كرنيليوس ، ولا نيقوديموس ، ولا الفريسي ، فكيف يقدر ان يخلصك انت ؟

هل سمعت عن شخص وصل في تدينه الى ما وصل اليه يوحنا وسلي مؤسس الكنيسة المثودستية ؟ كان راعياً لاحدى الكنائس الاسقفية ، لكنه اعترف عن نفسه قائلاً انه على رغم كونه راعياً لم يكن قد تجدّد بعد .

حسب نفسه مسيحياً لأنه كان متديناً وعاكفاً على قراءة الكتاب المقدس ، ومواظباً على حضور اجتماعات الكنيسة، ومثابراً على تلاوة الصلوات المرتبة حسب مواقيتها . واعترف انه كان يختلي ساعة أو ساعتين مع ربه ، وكان يتناول العشاء الرباني ، ويصلي طالباً القداسة الداخلية ، وكان يصوم ايام الاربعاء والجمعة . وتطوّع فاصبح مرسلاً الى جزر الهند وكان يكرز بالانجيل ...

وعلى رغم كل ذلك لم يكن مخلّصاً بعد. فكان يصرخ مستغيثاً : اما من شخص يستطيع ان يجدّدني ؟ فيا لهول الاعتراف ! كان باعثه الرئيسي الذي دفعه ان يكون مرسلاً هو — على حد تعبيره — « امله في خلاص نفسه». يا لها من مأساة مفجعة ! ان تجد هذا الرجل الذي

كان قساً في احدى الكنائس الاسقفية ومتعبداً جداً ، لكنه لم يكن قد تخلّص بعد .

فهل انت ايضاً تتكل على تدينك لتنال الخلاص ؟ ان كنت كذلك فقد القيت مرساة رجائك على ارض رملية !

لو كان الدين يقدر ان يخلصك فلماذا اذاً مات المسيح ؟ لم يكن هناك لزوم للجلجثة اذا كان الدين يقدر ان يخلص ؟ انني اقرر لك ، ايها العزيز ، انه يوجد مخلص واحد هو المسيح وحده لا سواه .

« وليس بأحد غيره الخلاص . لان ليس اسم آخر تحت السماء قد اعطي بين الناس به ينبغي ان نخلص » (اعمال ٤:١٢)

الخلق القويم

يصوّر الوهم لعدد كبير من الناس انهم مخلّصون لأنهم يعيشون عيشة حسنة، ويعتمدون على اخلاقهم لكي تخلصهم .

ايها الاعزاء ، مَثل من يتكل على اخلاقه وتصرفاته ان تخلصه مَثل من يحاول ان يرفع نفسه بشدّ سيور حذائه .

ولو كانت الحياة المستقيمة بقادرة على الخلاص فلماذا اذاً مات المسيح عنك ؟ وما هي قيمة موته ؟ ما دمت قادراً ان تخلّص نفسك فلا حاجة بك اليه .

واذا كان في مقدورك ان تصل الى السماء بمجهودك الشخصي فمن الميسور لك والحالة هذه ان تنادي على رؤوس الاشهاد قائلاً : انظروا اليّ ايها الناس، لقد وصلت الى السماء بفضل الحياة العجيبة التي عشتها.

كنتُ صالحاً ومؤدباً ومستقيماً بدرجة ان الله ادخلني الى السماء ، ولم اكن بحاجة الى مخلص. لقد تجاهلت المسيح، وخلّصت نفسي بنفسي! كلا ، ايها الاخ، والف كلا ، لا يجرؤ احد ان يتكلم بمثل هذا الكلام لأنه لا يقدر أحد ان يحيا حياة صالحة تماماً لترضي الله .

لانه مكتوب «قد صرنا كلنا كنجس وكثوب عدّة كل اعمال برنا» (اش ٦٤ :٦). ويقول الكتاب المقدس ايضاً « ليس بار ولا واحد » (رو ٣: ١٠) « اذ الجميع زاغوا وفسدوا معاً » . لذلك يحتاج الجميع الى مخلّص .

وعلى اي حال ، اذا كنت متحصّناً ببرك الذاتي فالمسيح اذاً لم يأت لمثلك ولا نصيب لك فيه لانه قال : «لم آت لأدعو ابراراً بل خطاة الى التوبة» (لو ٥ : ٣٢) . فهل انت بار ؟ ان كنت كذلك فلست في حاجة الى المسيح .

قال الفريسي قديماً : «اللهم اني لست مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة ولا مثل هذا العشار . انا رجل بار » . واما العشار فوقف من بعيد لا يشاء ان يرفع عينيه الى السماء خجلاً ، بل قرع على صدره قائلاً: «اللهم ارحمني انا الخاطىء». وقد برر يسوع العشار، وأدان الفريسي (لو ١٨:٩ — ١٤) .

انت تعلم يقيناً انك لست باراً . ودليل ذلك انك لا ترغب في ان يعرف اصحابك افكارك وخبايا اسرارك . فهل تظن انك تصلح لان تقف في حضرة الله القدوس ؟

قد تنظر الى غرفة ما محجوبة عنها اشعة الشمس فتقول انك لا

ترى فيها غباراً . ولكن دع الشمس تدخل ، ثم تأمل في شعاع الشمس ترَ ملايين من ذرات الغبار في كل مكان .

اتدّعي انك بار ؟ مهلاً دع نور قداسة الله الابيض الساطع يدخل الى قلبك! تأمل. ماذا ترى ؟ ترى الفساد والدنس والرجس أو ، في كلمة واحدة ، ترى الخطية .

صرخ بطرس قديماً : «اني رجل خاطىء يا رب» . وقال ايوب : «ها انا حقير». وصرخ اشعياء : «ويل لي». كان هؤلاء الرجال أحسن الناس في عصرهم ، او اكثرهم ادباً واستقامة ، ولكن لما رأوا الرب كشفوا أنفسهم على حقيقتها .

واليك شهادة جلّاد عن نفسه . قال : كنت دوماً رجلاً تقياً أخاف الله . وقد حاولت ان احيا حياة أمينة فاضلة ساعياً في جميع معاملاتي مع الآخرين أن اطبق القانون الذهبي ... لم آلُ جهداً في ان اكون زوجاً مثالياً وأباً صالحاً . واذا كنت قد فشلت في ناحية ما، فلا اعزو ذلك الى تقصير مني في بذل جهدي بكل همة واخلاص ونية حسنة .

يا لها من كلمات معسولة ! ولكنها خاطئة كلها ... لأنها جميعاً تتركز في كلمة «انا». فهو يتحدث عن امانته وأدبه ومجهوداته في تطبيق «القانون الذهبي» ولكنه اغفل المسيح تماماً فلم يذكره تصريحاً ولا تلميحاً . ويدّعي هذا الجلاد انه رجل متدين لكن غير مخلّص. فلم يذكر شيئاً عن ولادته الثانية، ولا عن قبوله المسيح، وهو يسعى ان يخلص نفسه بنفسه ملقياً كل رجائه واعتماده على اخلاقه وآدابه

الشخصية ! يا له من اساس زائف واهٍ ! ومع ذلك فهناك ملايين من البشر مثله .

فهل تريد انت ايضاً أن تستند وتعتمد على برك الذاتي؟ يا عزيزي، انت تعرف انك لست باراً . انا اعلم انك اذا قارنت نفسك بالآخرين، ربما تظهر انك افضل منهم، ولكن عندما تقيس نفسك بمقياس الله، كم يظهر عجزك ونقصك! ان الله يطلب براً كاملاً ولا يوجد إلا واحد فقط بار كامل ، هو يسوع المسيح . فاذا ارتديت ثوب بره الذي يخلعه عليك اصبحت مقبولاً لديه ، وإلا فانت هالك لأن برك فساد ودنس ولا ينفعك قتيلاً .

قد تبذل الجهد ، ولكن هذا الجهد لن يجعلك مقبولاً لدى الله .

قد تبذل غاية جهدك . لكن اقصى ما تصل اليه لا يمكن ان يحوز القبول لدى الله . وهل بذلت انت ايضاً قصارى جهدك ؟ انت تعلم انك لم تصل بعد الى غاية جهدك . نعم قد حاولت مراراً ان تكون في كل مرة احسن حالاً من المرة التي سبقتها . وان كان الحال كذلك فانت اذاً لم تصل بعد الى المثل الاعلى الذي كنت في كل مرة تهدف اليه . وهذه حال جميع الناس سواء بسواء . وما عليك الا ان تكون صريحاً مع نفسك وتواجه الحقيقة الواقعة : انك لم تبذل اقصى ما عندك . وضميرك يشهد عليك بذلك .

فالنتيجة التي لا مفرّ منها ايها الصديق هي انك محتاج الى المسيح، لأن رداء برّه الملكي هو وحده الذي يبررك . ان موقفك هو بالذات موقف الابن الضال . فاخلع عنك الأسمال القذرة البالية، ودع يسوع يكسوك برداء بره النقي . . . تعال معتمداً على استحقاقه لا على استحقاقك .

آلاف مؤلفة يعتقدون انهم يخلصون بأعمالهم ، ويمارسون اعمال التوبة وانكار النفس، ويعطون حسنات، ويصنعون صدقات، ويتلون الصلوات، ويزورون المرضى والمسجونين الخ ... ظانين انهم بهذه الاعمال يربحون السماء .

انهم يعملون للخلاص بينما يطلب الله منهم ان يتمموا خلاصهم ، وهذا معناه ان يكونوا اولاً حاصلين على الخلاص ومتمتعين به ، ثم يظهرون نتائجه وثماره بأعمالهم . على الطالب ان يدخل الكلية اولاً ويسجل اسمه في عداد طلابها قبل ان ينتظم في الدراسة . وكذلك يجب ان تقبل المسيح اولاً حتى تخلص . وقبل ان تجود بثمار الخلاص يجب ان تكون حائزاً على الخلاص نفسه . فالشجرة اولاً ثم الثمرة .

ماذا عمل اللص فوق الصليب لكي يخلص ؟ لم يكن في استطاعته ان يعمل أو يشتغل لان يديه مسمّرتا على الصليب . فلم يفعل شيئاً . غير ان يسوع قد خلصه !

ان تدبير الانسان للخلاص يرتكز على الكلمة « اعمل » . اما الله فيقول «قد أُكمل كل عمل » . وفيما يشدد الانسان على عمل شيء أو دفع شيء ثمناً للخلاص يقول الله : كل شيء قد أُعدّ فلم يبق للانسان شيء يعمله لأن المسيح قد أكمل كل شيء !

الخلاص ، يا اخي ، هبة مجانية: «اما هبة الله فهي حياة ابدية» (رومية ٦:٢٣) . فماذا يمكنك ان تفعل لكي تكسب هبة ما ؟ فاذا دفعت ثمنها زالت عنها صفة الهبة . واذا كنت تأتي عملاً ما لتكسبها

كحقّ لك ، فلم تعد هي هبة بعد ، لأن الهبة مجانية . وهكذا الخلاص مجّانيّ .

ماذا دفع الابن الضال؟ اذا قلت لي كم دفع هو اقول لك كم يجب ان تدفع انت . لكنك تعلم انه لم يدفع شيئاً ، لأنه كان معوزاً مفلساً . وهكذا انت . فالخلاص ، يا اخي ، بلا فضة ولا ثمن ، لانه يوهب ولا يُكتسب .

لما كنت في الهند رأيت من يسمّون « بالرجال القديسين » اناس يعذبون اجسادهم في سبيل الحصول على الخلاص . ولو كنت قد سألت احدهم : «لماذا تنام على هذا الفراش من الشوك ؟ » لكان جوابه : «لكي اخلص نفسي» . ولكن لماذا يعملون ما عمله المسيح ؟ ألم يتألم عوضاً عنهم ، وقد سالت دماه لأجلهم؟ ألم يكفّر عن خطاياهم؟ أو لم يرضَ الله عن ذبيحة ابنه؟ فلماذا يطلبون او تطلب أنت أن تزيد على العمل الذي اكمله المسيح ؟

اسمع الآن كلمة الله ، ما اوضحها وما اقواها ! « لانكم بالنعمة مخلّصون بالايمان وذلك ليس منكم . هو عطية الله . ليس من أعمال كيلا يفتخر احد» (اف ٢:٨ – ٩) .

«لا بأعمال في بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلّصنا» (تي٣:٥). «وأما الذي لا يعمل ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر فايمانه يُحسب له براً ... يحسب له الله براً بدون اعمال» (رو ٤:٥، ٦)

ويمكنك ملاحظة القول : «الذي لا يعمل»، «لا بأعمال»... اذاً لا لعملك ، ولا لاستحقاق فيك ، ولا لشيء مما يمكنك ان تعمل ،

فهي كلها لا تساوي شيئاً . ان المسيح ، والمسيح وحده هو الذي يقدر ان يخلّص ... ليتك تأتي اليه وتتكل على عمله الذي أكمله على الجلجثة . آمن به الآن فتخلص .

الوصايا

يظن بعض الناس انهم مخلّصون لانهم حفظوا الوصايا . ولكن يسوع قال : «ليس احد منكم يعمل الناموس» . ومن الطبيعي ان اصدقه هو لا انت . فانت لم تحفظ الوصايا ، وتعلم يقيناً انك لم تحفظها . ففي وقت من الاوقات كسرت وصية في حياتك . ويقول الله : «لان من حفظ كل الناموس وانما عثر في واحدة فقد صار مجرماً في الكل» (يع ٢:١٠). فان كسرت نقطة واحدة أو وصية واحدة فقد كسرت كل الناموس .

وبالتالي ، فانت مذنب ، مدان، محكوم عليك ، لانك تعديت . فماذا انت عامل لتصلح ما فات؟ لعلك تقول: سأقلب صفحة جديدة، وأعيش مستقيماً ، ولن اكسر الوصايا ، ولن أتعدى على الناموس . فاجيبك انك لن تستطيع ان تحفظ الوصايا والناموس . ولو فرضنا انك تقدر الآن ، فماذا فعلت في ماضي حياتك؟ ماذا عن الوصايا التي سبق وكسرتها ؟ هل يتغاضى الله عنها ؟

بالتأكيد كلا! ويجب ان تجيب عن كل وصية، الا اذا طلبت من المسيح ان يجيب عنك ، لانه لم يكسر وصية قط . كان بلا خطية، وقد حفظ الناموس تماماً . ومن حيث انك انت لم تفعل ذلك ، فلا

مندوحة لك اذاً عن ذبيحة كفارية تقدّم فداءً عنك. والمسيح حَمَلُ الله هو ذبيحنا الاعظم. فلماذا لا تختاره ذبيحاً وفادياً لك انت ايضاً؟

ما اجمل الصفحات الجديدة وما اسمى الحياة النظيفة الطاهرة ! ولكن اذكر الصفحات القديمة التي تعلوها لوثة الخطية والتي لن يتغاضى الله عنها ما لم تُغسَل وتصبح ناصعة البياض... كل دَين عليك يجب ان يُوفى . وهل من شيء يستطيع ان يغسل خطايانا سوى دم المسيح الذي يجعل صفحات حياتنا اكثر بياضاً من الثلج ؟

افرض انك سحبت من بقالة ما بضائع بمبالغ كثيرة ومن ثم عزمت الا تأخذ منه بضائع فيما بعد الا بالنقد ... فهل عزمك هذا يُغنيك عن دفع الديون السابقة المطلوبة منك ؟ كلا فان الدين سيظل ديناً عليك حتى توفيه . فاقلب صفحة جديدة من حياتك اذا شئت ، وابدأ بحفظ الوصايا اذا استطعت ، ولكن ماذا عن الوصايا التي سبق وكسرتها ؟

ولكن افرض ان شخصاً يأتيك ويدفع عنك الدين المطلوب !.. متى دفع فانك تقدر ان تبدأ من جديد ، وتدفع الحساب من الآن فصاعداً . ومن ثم تسير الامور سيرها الطبيعي .

اعلم يا اخي ان المسيح دفع عنك الدَّين ، وكفّر عن كل وصية كسرتها قبلاً وكل خطية ارتكبتها . يجب ان تؤمن بهذا وان تشكره لأنه حررك .

مَثل من يتحدث عن حفظ الوصايا لكي يخلص مَثل من يعطي كتاباً عن مبادىء الصحة لمريض في المصح مصاب بمرض السرطان

الخبيث ! وهذه حالتك بالضبط. فانت يا اخي مصاب بسرطان الخطية ، وحاجتك الاولى والعظمى هي الى من يرفع عنك هذا الداء الوبيل ، ويخلع عليك رداء صحته الشافية . وهذا ما فعله المسيح لاجلك . فقد اخذ عنك خطيتك ، وحملها في جسده على الصليب ، وهو الآن يهبك حياته – الحياة الابدية .

كانت لبولس معارك شعواء مع المسيحيين المتهودين المعاصرين له الذين كانوا يتوهمون ان للناموس يداً في تخليصهم. واليك ما قاله لهم: «لأنه بأعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرر امامه . لان بالناموس معرفة الخطية ... اذاً نحسب ان الانسان يتبرر بالايمان بدون اعمال الناموس» (رو ٣ : ٢٠ – ٢٨) «لانه ان كان بالناموس برٌ فالمسيح اذاً مات بلا سبب» (غل ٢:١٦ – ٢١) .

المسيح هو المخلص الوحيد

تحدثت اليك فيما مضى عن طرق الانسان – الدين ، والاخلاق ، والاعمال ، والوصايا – وبينت لك انها باطلة ، لن تصل بك الى الخلاص . والآن هيا بنا نتأمل معاً في طريق الله للخلاص .

يوجد شخص واحد يقدر ان يخلّص ، هذا الواحد الاحد هو الرب يسوع المسيح الحي الذي قال :

«أنا هو الطريق والحق والحياة . ليس احد يأتي الى الآب الا بي» (يو ١٤:٦). وانه يسوع المسيح وحده لا سواه . فلا عقيدة دينية ، ولا خلق قويم، ولا اعمال صالحة تقدر ان تخلّص، بل المسيح ابن الله

هو المخلص الوحيد دون سواه .

هو «الطريق» ، لا مجرد الدليل الى الطريق . فلا يستطيع أحد ان يأتي الى الله الآب الا به. فلا موسى، ولا بوذا، ولا كونفوشيوس، ولا كاهن، ولا اي انسان آخر ، بل المسيح وحده . فهل ترغب فيه ان يخلصك ؟ «ليس بأحد غيره الخلاص . لان ليس اسم آخر تحت السماء قد اعطي بين الناس به ينبغي ان نخلص» (اع ٤ : ١٢) . يا له من قول واضح صريح ! لم يرد في الكتاب قول اوضح منه . فلا خلاص بغير المسيح ، سواء أكان هذا الغير كنيسة او فرداً . فليس اسم آخر قادراً ان يخلّص الانسان: «وتدعو اسمه يسوع لانه يخلّص شعبه من خطاياهم». فهل لك ان تنصرف عن الجميع وتأتي اليه واثقاً به تمام الثقة ومعتمداً عليه وحده كل الاعتماد؟انه وحده يقدر ان يخلصك.

رُب سائل يتساءل : «وهل يخلصني انا ؟» – نعم، وبكل يقين . هوذا اسمعه يقول مرحّباً : « من يُقبل اليّ لا اخرجه خارجاً» (يو٦:٣٧). في مقدوره ان يقبلك وان يخرجك ولكنه يقول انه لن يخرجك خارجاً . شكراً لله من اجل هذا المخلص العجيب !

ماذا ينبغي ان تفعل ؟

قد يخطر على بالك ان تقول : بما ان الله قد اعد لي الخلاص فليس علي شيء لأفعله .

يا له من خطأ فاحش! ألست ترى انه ينبغي ان تقبل عطية الله؟ ويعلمنا الكتاب ان الخلاص قد اعد وعليك ان تقبله. فمثلاً عندما يقدم

اليك كأس ماء ، ألا يجب عليك ان تأخذه وتقبله ؟ وقد يفعل الطبيب شيئاً واحداً وهو ان يصف لك الدواء . ولكن ما قيمة الدواء وفائدته اذا لم تأخذه ؟ ينبغي ان تقبل يسوع المسيح اذا رغبت في الخلاص .

اجل ، ياعزيزي ، اقبل المسيح . قال الكتاب : «واما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً ان يصيروا اولاد الله » (يو١: ١٢) . وفي الواقع هل نستطيع الحصول على شيء اذا لم نعزم على قبوله؟ وهكذا الخلاص : لا يمكن ان ننجرف اليه قسراً ، بل ينبغي ان نختار . فتعال اذاً ، الآن ، واقبل المسيح . اقبله الآن .

واذكر انه يوجد فرق بين التصديق بالعقل والقبول بالقلب. فانت تعرف بعقلك ان المصعد قادر ان يحملك من دور الى دور . لكنك لا تقدر ان ترتقي من دور الى دور ما لم تنتقل بمعرفتك هذه من حيز الفكر الى حيز التنفيذ فتدخل في المصعد حتى ينقلك حيثما تشاء. وقد تؤمن ان القطار قادر ان يصل بك الى حيث تريد. ولكنك لن تصل ما لم تركب القطار وتسافر به. وكذلك انت تعرف بفكرك ان يسوع قادر ان يخلصك لكن لن يتأتى لك هذا الخلاص ان لم تحوّل معرفتك هذه الى ثقة عملية فتتكل على المسيح. فعليك اذاً ان تختار المسيح ، وان تقبله ، وان تعتمد عليه مسلّماً نفسك له. فالثقة العملية القلبية هي التي تخلّص .

هذا ما يقوله الكتاب صريحاً: «آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص انت واهل بيتك» (اع ١٦: ٣١) ...

هوذا الآن وقت

ربما تعلم انه ينبغي ان تخلص ولكنك تؤجل الى فرصة اخرى . فحذار حذار من التسويف فقد تكون هذه آخر فرصة لديك في الحياة: «هوذا الآن وقت مقبول. هوذا الآن يوم خلاص» (٢كو٦: ٢) ان وقت الله هو «الآن» . يا اخي لقد حان الوقت ودقت الساعة. ها هي فرصتك لتقرر مصيرك ! غداً يكون قد فات الاوان. «لا تفتخر بالغد لانك لا تعلم ماذا يلده يوم» (ام ٢٧: ١) .

اياك والتأجيل ! اقبل المسيح الآن ، فتصبح من الآن مالكاً للحياة الابدية . قد يغريك الشيطان ويحملك على تأجيل قبولك المسيح. فاذا خضعت لامره هلكت الى الابد. هيا تعال واقبله الآن «اطلبوا الرب ما دام يوجد ادعوه وهو قريب» (اش٥٥ :٦). سيأتي وقت تفتش عنه فلا تجده. لذلك اناشدك ان تقبله ، وان تقبله الآن.

٢

هَلاكُ الإنسانِ وَعِلاجُ اللهِ

كان الوقت ليلاً . مضى يوم آخر ، وكان كل شيء هادئاً . ولكن الظلمة كانت تخيّمة ابداً على السجن المظلم البارد الذي ضم باراباس . نعم، كانت الشمس بين الحين والحين تخترق باشعتها السواد القاتم الذي ساد تحت سطح الارض ، ولكنها ما كانت لتجعل من ذلك الظلام نوراً . وكل ما فعلته انها خففت من شدة وطأته .

ومع ذلك فهناك فرق ! ففي تلك الليلة بالذات يتوقع القاتل ان ينفّذ فيه حكم الاعدام ! وبدت كأنها آخر ليلة يعيشها على الأرض . وقد عرف تماماً ان مصيره اوشك على النهاية .

قبع في ركن من غرفته غارقاً في تفكيره . لم يبق امامه سوى ساعات معدودات ... وبعدها ينطفىء سراج حياته ! ويتخيل ما سيحدث له في الصباح التالي ، يتخيل وقع اقدام منفّذ حكم الموت

سائراً في الدهليز ، ثم متوقفاً هنيهة أمام غرفة السجن ليضع المفتاح الكبير في القفل وينفتح الباب الثقيل ببطء . ويتخيّل الحرّاس يجرّونه جراً الى الموضع المشئوم حيث يسمرونه على الصليب وهناك يقاسي — ربما لبضع ساعات — الآلام المبرحة التي ابتكرتها وحشية الرومان لأنه لا بد له من قصاص أليم عن جرائمه .

ولما جاء الصباح سمع فعلاً وقع خطوات السجّان في الدهليز وهو يقترب من غرفته ، وسمع المفتاح يدخل في القفل ، والباب ينفتح في لحظة . وكان باراباس قابعاً في ركن مظلم من غرفته .

فصاح الحارس بصوت جهوري: يا باراباس هل سمعت الخبر المفرح؟

فاجاب المجرم بصوت مرير حزين : واي خبر مفرح ؟ كل ما أعرفه هو ان اليوم ينفّذ فيّ حكم الاعدام وانك جئت لكي تقودني الى الصليب حيث انال قصاص جرائمي. قال هذا وانكمش الى الوراء نحو الحائط المبلل البارد .

فاجابه الحارس بنفس الصوت الظافر : يبدو انك لا تعلم ... اسمع يا باراباس ، لقد مات شخص بدلاً عنك !

— مات شخص بدلاً عني ! وماذا تقصد بذلك ؟

— تعال معي فأريك ماذا اقصد .

وسارا معاً الى الباب على طول الدهليز الذي يضم عدداً من الغرف الصغيرة للسجناء، حتى وصلا الى الشارع. وسارا خارج اسوار مدينة اورشليم (القدس) . ثم توقفا عن المسير ...

ولما وضع الحارس يده على كتف السجين أشار الى تل يبعد قليلاً وقال : انظر ، هل ترى ذلك الصليب ؟

ونظر الرجل المدان ... ومرت لحظات قبل ان يتحقق المنظر الذي أمامه، لان عينيه لم تتعودا الرؤية في نور النهار . واخيراً رأى، وتكلم قائلاً : نعم أرى ... أرى ثلاثة، فهل هم كذلك ؟

– ولكن هل ترى الذي في الوسط ؟

– نعم

– اعلم ان الصليب الذي في الوسط كان قد صنع خصيصاً من أجلك . وكان من المتوقع ان توضع انت فوق هذا الصليب اليوم .

واذا بالنور ينبلج ببطء ويقع على عقله الذي خيّم عليه الظلام فقال : آه، ذلك الانسان المعلّق فوقه يموت عني، يموت من أجلي ؟!

– نعم، يا باراباس ، انه يموت عنك . ألم أقل لك ان شخصاً مات عنك ولاجلك ؟

– وهل هذا ممكن ؟ هل هذا صحيح؟ أفي عالم الخيال انا ام في عالم الواقع ؟ يموت عني ، يأخذ مكاني أنا ؟ نعم ان ذلك الصليب قد صنع لي أنا ، وكان لا بد ان اكون معلقاً عليه الآن ، ولكنه يموت بدلاً عني ... أنا لا افهم ذلك ، لا أعلم لماذا فعل هذا انه مات عني، وما عليّ الا ان اؤمن بذلك . انه حقاً مات عني ولأجلي !

– نعم يا باراباس، مات لأجلك !

اجل ، مات لاجل باراباس ، ولاجلك انت ايضاً يا صديقي الخاطىء ! فان يسوع المسيح ابن الله عُلّق هناك في ذلك اليوم ، عُلّق بدلاً عنك كما مات عن باراباس . لقد اخذ مكانك ، ومات بدلاً عنك ، وصار بديلك، وحمل خطاياك، وحياته اعطاك انت ايها

الخاطىء الفقير الهالك المجرم لكي تحيا ... يا له من علاج حاسم لهلاك الانسان !

هناك أربع حقائق في كلمة الله توضح لنا هلاك الانسان وعلاج الله . وهذه الحقائق هي :

أولاً : جميع الناس هالكون وفي طريقهم الى الهلاك الابدي لان جميع الناس خطاة في عيني الله .

ينحدر الجنس البشري في هوة سحيقة نحو الهلاك. يقول الله عنا: «كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد الى طريقه » (اش ٥٣ : ٦) . جاء يسوع المسيح لكي يخلّص الناس الهالكين . يقول الكتاب صريحاً : «لان ابن الانسان قد جاء لكي يطلب ويخلّص ما قد هلك (لو ١٩:١٠) .

والناس هالكون لأنهم أخطأوا ضد الله . انا اخطأت ، وانت اخطأت ، وكل البشر اخطأوا . ليس احد إلا وعمل خطية . يقول الكتاب : « الجميع اخطأوا واعوزهم مجد الله » (رو ٣ : ٢٣) «ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد» (رو ٣:١٠). وبذلك اصبح الكل هالكين في عيني الله .

لست خاطئاً لأنك تعمل الخطية ، وانما تعمل الخطية لأنك خاطىء ، وطبيعتك خاطئة . ولدت في الخطية ، صُوِّرت بالاثم . ان شجرة التفاح لا تسمى كذلك لانها تحمل تفاحاً ، وانما هي تعطي تفاحاً لانها من طبيعتها شجرة تفاح . وانت تخطىء لانك خاطىء من طبيعتك. وقد بدأت تضل وتزيغ وتفسد منذ اللحظة التي صرت فيها رشيد نفسك !

وما هي دينونة الخاطىء ؟

«انه ليوم البوار يُمسك الشرير ليوم السخط يُقادون» (أي ٢١ : ٣٠)، «انتهرت الامم . أهلكت الشرير . محوت اسمهم الى الدهر والابد» (مز ٩ : ٥) ، «الاشرار يرجعون الى الهاوية . كل الامم الناسين الله» (مز ٩ : ١٧) . ونقرأ في مز ٣٧ هذه العبارات : «لان عاملي الشر يُقطعون» «لان الاشرار يهلكون ... والملعونين منه يقطعون ... اما الاشرار فيبادون جميعاً» .

ونقرأ في ملاخي ٤ : ١ «كلُّ فاعلي الشر يكونون قشاً ويحرقهم اليوم الآتي قال رب الجنود فلا يُبقي لهم أصلاً ولا فرعاً» . ويقول الرسول بولس: «سيعاقبون بهلاك أبدي» (٢ تس ١ : ٩) . ثم في سفر الرؤيا ٢٠ : ١٥ نجد القول : «وكل من لم يوجد مكتوباً في سفر الحياة طُرح في بحيرة النار» .

اذاً لا رجاء للذين هم بلا مسيح. ومصير الاشرار الهلاك . جميع الذين لم يوجد اسمهم مكتوباً في سفر الحياة هالكون ، وهالكون الى الابد. لقد اخطأوا ضد الله ، ولا بد لهم ان ينالوا جزاءهم وقضاءهم.

يا صديقي ، أين مكانك ؟ هل انت من عداد الاشرار الهالكين ؟ اذاً ، فلا رجاء لك . انك هالك وسائر في طريق الهلاك الابدي . قد لا تصدق هذا الكلام الآن، ولكنك ستختبره فيما بعد . فاناشدك الا تستهين بالامر الآن، لان دينونتك اكيدة وقضاءك محتّم . وان سرت في نفس الطريق الذي تسير فيه الآن، فلا رجاء لك، بل تهلك للأبد . مذ الآن انت هالك ، وانت سائر متجهاً نحو الهلاك لانك

اخطأت ضد الله العلي القدير. بحيرة النار ستكون نصيبك، وسيكون الموت الثاني مصيرك ، وستوضع في الجحيم مع الشعوب التي نسيت او تناست الله .

قد تقول : لست من كبار الخطاة ، فاقول لك : وما الفرق ؟ ان الخطية خطية ، ولا يمكن الخطية ان تدخل السماء . وخطية واحدة او تعدّ واحد يحرمك من النعيم . وحقيقة الامر هي انك بلا عذر ايها الانسان ؛ فقد تجاوزت شريعة الله ، وكسرت وصاياه ، واخطأت ضد ضميرك . وتعلم علم اليقين انك لا تصلح ان تواجه الله القدوس .

وان كنت لم تقبل بعدُ الرب يسوع المسيح مخلّصاً شخصياً لك فانك ترتكب اعظم خطية يمكن ان يرتكبها انسان لانك بذلك تحتقر محبة الله ورحمته ، وترفض غفرانه ، وتتجاهل ابنه الوحيد ، وتشيح بوجهك عن يسوع المسيح ! فانت اذاً ، يا صديقي ، بلا رجاء ، انت هالك، وفي طريقك الى الهلاك الابدي ، لانك خاطىء في عيني الله .

ثانياً : جميع الناس محكوم عليهم بالموت . واما الموت فتتبعه الدينونة التي لا منجاة منها ولا مفر .

يقول الكتاب : «اجرة الخطية هي موت» (رو ٦ : ٢٣) «النفس التي تخطىء هي تموت» (حز ١٨ : ٤) . فالموت اذاً هو نتيجة طبيعية للخطية . والموت هو عقاب . وعندما اتحدث عن الموت ، لا اعني موت الجسد ، بل موت النفس ؛ لا اعني الموت الأول ، بل الموت

الثاني . ان كنت ، يا صديقي ، قد ولدت مرة واحدة ، فلا بد ان تموت مرتين ؛ واما الذين وُلدوا مرتين فهم الذين يموتون مرة واحدة. وهل من شيء اشر من الموت الابدي ؟ هل انت مستعد ان تواجهه؟ الا يملأ الخوف قلبك؟ ألا ترتعب بمجرد التفكير فيه ؟ ألا ترغب في الهروب منه لو استطعت الى ذلك سبيلاً ؟ فكّر قليلاً ... فكر في هذا : الموت مصيرك الابدي .

يقول الكتاب: «وُضع للناس ان يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة» (عب ٩ : ٢٧) . والامر المرعب المخيف عن الموت الجسدي هو ان الدينونة تتبعه ، ولا مفر من الدينونة . وسيأتي اليوم الذي فيه يمثل امام الله جميع الذين هم بلا مسيح ! الدينونة اكيدة . عاجلاً أم آجلاً يأتي ذلك اليوم الذي فيه يجلس يسوع المسيح نفسه على كرسي الحكم ليدين !.. اليوم يقدم لك يسوع مخلّصاً ، وان لم تقبله اليوم مخلّصاً فستضطر ان تقف امامه كديان، لان الله الآب قد اعطى كل الدينونة للابن (يو ٥:٢٢) . ويسوع نفسه الذي صار انساناً سيكون هو ديان الناس .

يا له من موقف مخز مؤلم أن يقف الانسان امام محكمة ارضية وامام قاضٍ ارضي ! ولكن كم يكون الموقف أمام ديان كل الارض الذي ينطق بالحكم النهائي القاطع! ولن تكون هناك فرصة للاستئناف امام محكمة أعلى ، لان محكمته هي اعلى الجميع . وفضلاً عن ذلك، فان حكمه سيكون عادلاً لانه يعرف قلوب الناس . ولن يحابي الوجوه، كما لن يكون بامكان احد ما أن يخفي شيئاً عنه، لانه يعرف كل ما فعلنا وكل ما قلنا وكل ما فكرنا به ، انه يعرف كل شيء عنا.

جميع الذين لا يعرفون المسيح سيقفون امامه «ومخيف هو الوقوع في يدي الله الحي» (عب ١٠: ٣١) ! ان مجرد التفكير في هذا الامر ليرعبنا ، ويملأ قلوبنا فزعاً وجزعاً ! وهل لك ان تفكر ملياً في ان افكارك كلها سوف تكشف ، لا امام اصدقائك فحسب ، بل امام جميع الامم والقبائل والالسنة ! فكّر في حالتك وانت واقف لا جواب عندك ولا عذر ! فهل انت مستعد ان تواجه الموقف ؟ وهل تذهب الى حضرة الله وانت غير مخلّص ؟ هل تريد ان يكون ديّانك ؟

ثالثاً : لا يمكن احداً ان يخلص بواسطة أعمال بره ، ولا تستطيع الكنيسة ان تخلصه من الهلاك والدينونة .

دعني اقولها صريحة سافرة ، يا صديقي ، انك لا تستطيع ان تخلص بواسطة اعمال برك . وعساك تذكر ان الرسول بولس انصرف عن الثقة بالحياة الصالحة التي عاشها بعد ان ادرك انها لن تخلصه . وقد قال : «لانكم بالنعمة مخلصون ، بالايمان . وذلك ليس منكم هو عطية الله . ليس من اعمال كيلا يفتخر احد» (اف ٢:٨ – ٩) .

هل سمعت ما قاله بولس ؟ «ليس من اعمال» « لا بأعمال في بر عملناها» (تي ٣:٥). ليس ما نعمله نحن ، بل ما عمله الله . فالاعمال عاجزة تماماً عن ان تخلصنا . لو كان في مكنة الاعمال ان تخلصك لكان لك الحق ان تفتخر . والحال ان الفضل كله والفخر كله لله «لان الخلاص من الرب». ليس في مقدورك ان تفعل شيئاً حتى تخلص نفسك . ولا يقدر اي انسان ان يكون هو مخلص نفسه .

ان عشت أبر عيشة ممكنة ، وقمت بأفضل الاعمال ، واطعت القانون الذهبي ، وراعيت الوصايا العشر بكل دقة ، وبذلت اقصى جهدك ، فان هذه كلها لن تجديك نفعاً ما . لان الحياة لا توهب بسبب الاعمال الصالحة . فلا الاعمال الصالحة ، ولا الصلوات ، ولا اعمال الرحمة، ولا اي شيء آخر يجدي نفعاً، لانك لا تقدر ان تشتري الخلاص ، ولا ان تستحقه ، ولا تقدر ان تشتغل في سبيل الحصول عليه ، ولا ان تناله وتحققه . ان اعمالك الشخصية عاجزة ابداً عن ان تخلصك .

حتى الكنيسة لا تقدر ان تخلصك من القضاء المحتوم . فلم يسبق ان كنيسة فعلت ذلك ، ولن تستطيع كنيسة ما ان تفعل ذلك . وما الدين بقادر ان يخلّصك. لأن الانسان لا يخلص بواسطة الدين كما انه لا يخلص بواسطة اعمال برّه . كان بولس متديناً ومع ذلك لم يكن مخلّصاً عن طريق تدينه . كان نيقوديموس متديناً ومع ذلك لم يكن مخلّصاً . حفظ كرنيليوس الناموس بلا لوم، ومع ذلك عجز الناموس عن أن يخلّصه .

صديقي القارىء ! انت مريض، مصاب بسرطان الخطية . ليس بالامر الكافي ان تعطى كتاباً مليئاً بالتعليمات والقوانين عن السرطان، لانها لا تشفيك ... ولا يهم أي حياة عشت ، فان السرطان سيبقى. وقد تصبح اكثر الناس تديناً على وجه الارض ، ويبقى سرطان الخطية فيك . فترى انه لا بد من اجراء شيء حاسم للسرطان. ليس في مقدورك ان تفعل شيئاً لنفسك ، لان ليس لبرّك ، أو لدينك ، أو لتديّنك أي تأثير البتة. انت خاطئٌ في نظر الله، فيجب والحالة

هذه ، ان يكون ثمة علاج . لا يمكن ان تكون طبيباً لنفسك ...

رابعاً : الخلاص هو عطية الله . ولا يستطيع الناس ان يقبلوها الا بالمسيح وذلك بالايمان – ان خلاص الله عطية . وان كان عطية فلا يمكن ان يُكتسب. ولا سبيل لاستحقاقه، ولا يمكن العمل لاجله. العطية يجب ان تقبل كعطية وهبة . وعليك ان تقبل خلاص الله كما تقبل، مثلا، هدية عيد الميلاد. وكل ما تقدر فعله هو ان تقبل الخلاص شاكراً . ان الثمن قد دُفع كاملاً ، وما كان اعظم ذلك الثمن ! فقد بذل الله ابنه الوحيد ، وسفك يسوع دمه فوق صليب الجلجثة ، وحمل يسوع القصاص عنا ، وكان قصاصه الموت... بذل يسوع حياته وصنع كفارة كاملة أرضت العدالة الالهية وسدت حاجات الانسان القصوى .

«لأن اجرة الخطية هي موت واما هبة الله فهي حياة ابدية بالمسيح يسوع ربنا» (رو ٦:٢٣) «ان الله اعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هي في ابنه. من له الابن فله الحياة ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة» (١ يو ٥:١١ ، ١٢). ولذلك اذا قبلت خلاص الله كهبة، بقبول يسوع المسيح ، تخلص . صاح ! لك رجاء ! ولك مفرّ من الهلاك وذلك اذا قبلت رحمة الله المعطاة لك في ابنه يسوع المسيح !

لنفرض انني كنت مديوناً لك بدَين كبير لا استطيع دفعه . فإما ان يدفعه عني شخص آخر أو أن أتحمل النتائج المترتبة على ذلك . هذا هو عين موقف الانسان امام الله ! فقد كان الانسان مديناً لله وعاجزاً عن تسديد دينه، واذا بيسوع المسيح يتداخل ويدفع الدين. ومتى قبل الانسان ما عمله يسوع من اجله ، اصبح حراً . يقول

الكتاب : « الرب وضع عليه اثم جميعنا » . صار المسيح بديلاً عن الانسان بكفارته التي صنعها . ولذلك يقدّم الله الآن الخلاص مجاناً بدون نقود ولا ثمن !

والطريق الوحيدة لقبول المسيح هي الايمان . وها هو الله يقدّم لك الخلاص بالايمان في المسيح ، لا ايمان العقل ، بل ايمان القلب ، أي الايمان الذي يتضمن الثقة في الشخص والاعتماد عليه . فكل الايمان الذهني العقلي في العالم لن يخلصك ؛ يجب ان تؤمن بالمسيح وتثق به ثقتك بالمصعد أو بالقطار ، أو بالمصرف. ينبغي ان يكون الايمان ايماناً عملياً ، وينبغي ان تلقي كل اتكالك على الرب الآن وللأبد ، او بعبارة اخرى يجب ان تقبله . يقول الكتاب : «واما كل الذين قبلوه فاعطاهم سلطاناً ان يصيروا اولاد الله » (يو ١ : ١٢) «آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص» (أع ١٦:٣١) .

ليس المهم : ماذا تفكّر او ماذا تعتقد ؟ وانما المهم : هل قبلت الرب يسوع المسيح مخلّصاً لك؟ هل وضعت ثقتك فيه؟ هل وضعت ثقتك في ابن الله ؟ وهل أنت الآن من اولاد الله ؟ ان الذي يخلصك هو شخص .

مثلك مثل غارق في اليم يحتاج الى منقذ يغطس في المياه ويخلصك. وما علاقة هذا بحياتك البارة ؟ وما علاقته بعضويتك للكنيسة ؟ يجب ان تحصل على الخلاص بواسطة شخص، وهذا الشخص هو الرب يسوع المسيح . وان لم يخلصك المسيح فأنت غير مخلّص «لأنه ليس بأحد غيره الخلاص » . هو المخلص الوحيد ، لا أحد سواه . لذلك

يقول الله : «من له الابن فله الحياة ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة» (١ يو ٥:١٢) . فالحياة الأبدية هي في المسيح، ولذلك لا بد أن يصير يسوع مخلصاً لك .

يقول الكتاب في سفر الرؤيا (٣:٢٠): «هأنذا واقف على الباب واقرع . ان سمع أحد صوتي وفتح الباب ادخل اليه واتعشى معه وهو معي». فالمسيح واقف اذاً خارج باب قلبك ، وسقّاطة الباب هي من الداخل . ولن يقتحم المسيح قلبك ، بل عليك أن تفتح الباب وتدعوه للدخول . وما ان تفتح الباب حتى يدخل يسوع ويخلصك . ولا بد للمسيح ان يدخل الى قلبك والى حياتك ، ومتى تم ذلك تكون قد ولدت ثانية، ولدت من الروح، ولدت من فوق، وتكون قد انتقلت من الموت الى الحياة . بقبولك يسوع المسيح مخلصاً شخصياً لك وبوضع ثقتك فيه دون سواه تنال الخلاص ، وما امجد ذلك الخلاص !

كان بطرس صريحاً عندما قال : « ليس بأحد غيره الخلاص لان ليس اسم آخر تحت السماء قد اعطي بين الناس به ينبغي ان نخلص » (أع ٤:١٢). ان هذا الكلام يا عزيزي ينفي بتاتاً وجود اي شيء او اي شخص آخر به يمكننا ان نخلص ! ولذلك يجب ، في مسألة الخلاص ، ان تحجب ثقتك عن كل الاشياء وكل الاشخاص ، لتضعها كاملة ثابتة في شخص واحد : يسوع المسيح !

ان مؤسسي مختلف الديانات وقادة المذاهب قد ماتوا فأنّى لهم ان يخلّصوا . ولكن مخلصنا «يسوع المسيح» الحي الى الابد ، انه «حي في كل حين» (عب ٧:٢٥) . لو ان المسيح بقي ميتاً لما كان في

مقدوره ان يخلص ؛ ولكن نعلم ان المسيح مات ، وقام ثانية ، وهو حي اليوم والى الأبد . انه المسيح المقام من الاموات الذي يخلصنا .

اسمع كلمات يسوع الجازمة القاطعة : « أنا هو الطريق ... ليس احد يأتي الى الآب إلا بي » (يو ١٤ : ٦) . لا طريق آخر سواه . فليس صحيحاً البتة أنّ جميع الطرق تؤدي الى الله . كلا ، اذ ليس هناك سوى طريق واحد . ويسوع يقول انه هو الطريق الوحيد ! الطريق ليس بوذا ، ولا كونفوشيوس ، ولا سواهما ؛ الطريق ليس هذه الديانة او تلك ، هذا المذهب او ذاك ، هذه العقيدة او تلك ، ليس الطريق هو الكنيسة او العضوية فيها ، او المعمودية ، او التثبيت او الاعمال الصالحة او الحياة الصالحة وانما الطريق يسوع المسيح نفسه . فلا طريق الى الله الآب الا المسيح الذي قال : «انا هو الطريق » .

يا صديقي ، آمن بيسوع ، يسوع الحي المقام ، ابن الله الوحيد واقبله وضع كل ايمانك فيه منصرفاً عن كل شيء آخر ، اتكل عليه لأنه وحده يقدر ان يخلصك. انما الحاجة الى مخلّص حي لكي يخلصك.

وها هي الرسالة التي جاءت في انجيل يوحنا (٣:١٦ و ١٨ و٣٦) «لانه هكذا احب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية ... الذي يؤمن به لا يدان والذي لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد ... الذي يؤمن بالابن له حياة ابدية . والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله» .

لك الخيار بين الخلاص والدينونة ، بين سماء نعيم وجحيم أليم ، بين الحياة والموت ، بين الهلاك والخلاص ، بين الحياة الابدية وغضب

الله ! في مقدورك ان تقبل او ترفض ولكنك لا تقدر ان تظل على الحياد . فاي الامرين تختار ؟ يجب ان تقرر الآن ، لان الغد قد يكون متأخراً عليك « لانه هوذا الآن وقت مقبول . هوذا الآن يوم خلاص» (٢ كو ٦:٢) .

الآن وقد اوضحت لك الموضوع هل لي ان استوضحك عن حالتك : هل انت مخلّص ام هالك ؟ هل انت هالك لانك ما تزال مصاباً بسرطان الخطية ام هل ذقت طعم العلاج الالهي ؟ ان كنت هالكاً أفليس الاحرى بك الآن ان تقبل يسوع المسيح الذي هو العلاج من الله لهلاك الانسان ، فتقبله مخلصاً شخصياً لك ؟ «آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص». آمن الآن فتخلص الآن .

٣

السؤال الذي يقرر المصير

يروى عن شاب انه لم يفعل شيئاً رديئاً في حياته . ولكنه وُجد يوماً ما يلعب الورق فغلبه طبعه واحتد وامسك بمسدس وقتل زميله الذي كان يلعب معه. وقُبض عليه وحوكم وصدر ضده حكم الاعدام.

ولكن بسبب حياته السابقة المدهشة وسمعته الطيبة ، تحرّك اقرباؤه واصدقاؤه وقدموا عريضة يلتمسون الرحمة من اجله والعفو عنه. وكان كل من سمع عن ذلك يتحمس للتوقيع . ولم يمض وقت طويل حتى هرع الناس ، افراداً وجماعات للتوقيع على هذا الالتماس.

ورفعت عرائض الالتماس الى الحاكم الذي كان مؤمناً حقيقياً. وسالت الدموع من عينيه وهو ينظر الى السلال الكبيرة الملآنة بعرائض الالتماس . وصمم في قرارة نفسه ان يصدر أمر العفو ، وفعلاً كتب أمر العفو ووضعه في جيبه ثم تنكر في زي قسيس وسار في طريقه الى السجن .

وعندما اقترب الحاكم الى غرفة الموت نهض الشاب ووقف داخل قضبان الحديد ، وصاح قائلاً له : اخرج من هنا ، لا أريد ان أراك، لقد رأيت سبعة مثلك وكان عندي في بيتنا ما يكفي من الدين .

فقال له الحاكم : مهلاً أيها الشاب ، مهلاً ! لي اليك امر هام ، واريد ان أتحدث اليك عنه .

فقال له الشاب في حدة وغضب : اسمع، اذا لم تخرج في الحال من هذا المكان ناديت الحارس لكي يخرجك بالقوة .

فقال له الحاكم : ايها الشاب عندي خبر سارّ مفرح ، وانه لأبهج خبر سمعته اذناك . أفلا تسمح لي ان ابلغك اياه ؟

فاجاب الشاب: عساك سمعت ما قلته لك. اذا لم ترحل عن هذا المكان في الحال ناديت الحارس .

فقال الحاكم : ها انا راحل عنك . وعاد ادراجه والحزن يملأ قلبه ...

وما هي الا لحظات حتى جاء الحارس وقال للشاب : أرى أن الحاكم كان في زيارتك .

فصرخ الشاب: ماذا تقول؟ هل الرجل الذي كان في زي قسيس هو الحاكم ؟

فقال الحارس : نعم هو ... وكان يحمل معه أمراً بالعفو عنك ولكنك لم تسمع له .

فصرخ الشاب: احضر لي القلم، احضر لي الحبر، احضر لي الورق. واعطي ما طلب . ولما جلس كتب: «سيدي الحاكم... انا مدين لكم بالاعتذار وأنا آسف للطريقة التي عاملتكم بها الخ...»

ولما قرأ الحاكم الرسالة كتب على ظهرها «قضية مفروغ منها فما عادت تهمني» .

ولما جاء اليوم لتنفيذ حكم الاعدام في هذا الشاب ، سئل ان كان يرغب في شيء قبل ان يموت ، فاجاب : أبلغوا وخبروا جميع الشباب انني لم أمت بسبب جريمتي التي ارتكبتها ، ولم أمت لانني قاتل، فقد سامحني الحاكم واصدر أمراً بالعفو عني، وكان في امكاني أن أعيش . أبلغوا الشباب انني اموت لأني رفضت السماع لكلمة الحاكم.

يا صديقي ، ان كنت هالكاً فما ذلك بسبب خطاياك ولكن بسبب عدم قبولك التوبة والغفران الذي قدمه لك الله في ابنه. وان انت رفضت يسوع المسيح فماذا يفعل الله لك ؟ انك ترفض رجاءك الوحيد للخلاص .

في عام ١٨٩٢ حُكم على ولسون و بورتار بالاعدام لانهما كانا يسرقان البريد في الولايات المتحدد الامريكية . وقد نُفّذ الحكم في بورتار ، وأما ولسون فاعفي عنه . لقد رفض بورتار العفو . واصدر رئيس محكمة العدل المدعو جون مارشال هذا القرار : «ان العفو وثيقة لا بد من تسليمها لثبوت قانونيتها . ولا يتم التسليم ويعتبر كاملاً الا بالقبول، ومن حق الشخص الذي تقدّم اليه ان يرفضها. ومتى رفضت فليس لأية محكمة ان تجبر ذلك الشخص على قبولها» .

ان المسئولية متوقفة ومعلقة عليك . فاذا لم تقبل غفران الله فلن يفرضه عليك بالقوة. ولكن «كيف ننجو نحن ان أهملنا خلاصاً هذا مقداره» (عب ٢:٣) ؟

طريقان

إما ان تقبل يسوع المسيح أو ان ترفضه ! قد تقول : سأقف على الحياد . لا داعي أن اتخذ جانباً من الاثنين . لن أقبل المسيح ، وفي الوقت نفسه لن أرفضه .

اسمع يا أخي : افرض ان لك هدية في جيبي، ولكنك لا تعرف عن ذلك شيئاً ، لأني لم اقل لك، فيمكنك بالتالي أن تظل على الحياد. ولكن في اللحظة التي اخرج الهدية من جيبي واقدمها لك ، ينبغي أن تقرر لأنه لم يعد في امكانك ان تظل على الحياد .

قبل ان تسمع شيئاً عن الرب يسوع المسيح ، كان بامكانك أن تكون حيادياً. ولكن في اللحظة التي يقدّم اليك فيها يجب ان تقرر. ومن تلك اللحظة حتى هذه اللحظة لم تكن حيادياً ، ولن تقدر ان تكون ، ففي كل مرة تسمع الدعوة عليك ان تقرر وتعزم .

اذا لم تقبل يسوع المسيح الآن ، فانك ترفضه . امامك أحد امرين لا ثالث لهما . تستطيع ان تجلس في مقعدك ولا تبدي حراكاً، ولكن بهذا العمل تكون قد رفضت يسوع . فأي الاثنين تختار ؟ هل ترغب في رفض يسوع أم تعزم الآن على قبوله مخلصاً شخصياً لك ؟! الامر متروك لك .

الاساس الالهي للدينونة

لا بدّ لي الآن من الاشارة الى ان الله سوف يدينك على أساس ذلك القرار الخطير ! لنفرض انك قررت الآن ان ترفض يسوع

المسيح، ثم – في الوقت نفسه – تعقد النية على تغيير قرارك في الاسبوع القادم وقبول المسيح. ولكن افرض انك فارقت الحياة قبل الاسبوع القادم . فهل تظن ان الله سوف يدينك على أساس ما كنت تنوي عمله – لو بقيت على قيد الحياة – ام على ما عملته ؟ بكل تأكيد ، سيدينك على أساس ما فعلت وقررت !

يوم الدينونة ، ستُناقش حساباً لا عن خطية بل عن موقفك من «الابن» ، ابن الله ! يكون السؤال ، في ذلك اليوم ، بشأن علاقتك بيسوع المسيح : «ماذا فعلت بابني ؟» فهل تجيب الله قائلاً : « ربي ! لقد كنت انساناً متديناً، مواظباً على حضور اجتماعات الكنيسة ...» فيقاطعك الله : «مهلاً ... أنا ما سألتك شيئاً عن حياتك الدينية... وانما أسألك سؤالاً بسيطاً : «ماذا فعلت بابني ؟ »

ومن ثم تستمر في قولك : « ربي ! لقد عشت عيشة صالحة ، لم أفعل اثماً ولا ذنباً ، أنا ... » ويقول الله ثانية : «انا ما سألتك عن الحياة التي عشتها ، وانما سألتك سؤالاً بسيطاً : ماذا فعلت بابني ؟»

وتجيب : « ربي ! كنت على طول الخط اعتقد ان ابنك انسان صالح ، وفي الواقع كنت اعتقد انه احسن الجميع». ويقول الله لك: «ما سألتك رأيك في ابني ، وانما سألتك: ماذا فعلت بابني ؟ اخبرني الآن ، هل قبلته أم رفضته ؟ ماذا فعلت به ؟ » واذا بك تصمت ، لا تجد جواباً لأنك لم تفعل بابنه شيئاً ، لقد أهملته ... ولذلك فانك هالك لا بسبب ما فعلت ولكن بسبب ما كان ينبغي ان تفعله ولم تفعله .

لماذا يهلك الانسان ؟

لماذا اذاً يهلك الناس ؟ اذا كان الناس لا يهلكون بسبب خطاياهم فلماذا اذاً يهلكون ؟

يروى ان فتاة كانت مريضة جداً ، وكانت عضواً في احدى الكنائس. ومرت في غيبوبة حلمت خلالها انها فارقت الحياة، وكانت واقفة في حضرة الملاك جبرائيل عند باب السماء ، بينما كان الملاك يقلّب صفحات سفر الحياة .

وبعد فترة، نظر اليها الملاك وعلائم الحزن ترتسم على وجهه وقال: ايتها الشابة ، اسمك غير موجود في هذا الكتاب .

فصاحت مستغربة : ماذا تقول ؟ اسمي غير موجود في هذا الكتاب ؟ لا شك انه موجود ! ابحث جيداً .

واخذ الملاك يقلّب الصفحات من جديد ، واخيراً نظر اليها ثانية وقال : ايتها الشابة ! اسمك غير موجود .

فصرخت قائلة: آه ! ماذا فعلت وماذا جنيت حتى ان اسمي غير موجود في سفر الحياة ؟

فاجابها الملاك جبرائيل قائلاً : ليس بسبب ما عملته أُغفل ذكر اسمك هنا ، ولكن بسبب ما لم تفعليه . لقد اهملت الخلاص العظيم!

اذ ذاك أفاقت من غيبوبتها، وبينما هي تحس بذات الألم في مرضها، زحفت من فراشها، وركعت على ركبتيها بجوار سريرها وهناك، لأول مرة في حياتها ، فتحت قلبها ليسوع المسيح وقبلته مخلصها الشخصي.

لماذا يهلك الناس ؟

اسمع الله يجيب ! اقرأ ما جاء في يوحنا ٣ : ١٨ «الذي يؤمن به

لا يدان والذي لا يؤمن قد دين» .

هل يهلك الانسان لأنه لم ينضم للكنيسة ، أو لأنه عمل خطية ، هل هذا ما يقوله الكتاب ؟ كلا ... لكنه يقول : «الذي لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد » . هذا هو يا صديقي ، السبب الوحيد الذي من اجله يدان الانسان ...

لن تهلك لأنك قاتل ، لأن الله يستطيع ان يغفر الخطية للقاتل، لن تهلك لأنك سكير أو لص ، لان الله يستطيع ان يغفر الخطية للسكيرين واللصوص . ولكن توجد خطية واحدة لن يقدر الله ان يغفرها وهي خطية رفض ابنه . فاذا رفضت ان تقبل يسوع المسيح مخلصاً لك، فلا رجاء لك، لان ليس لدى الله تدبير آخر بشأن خلاصك!

رجل طيب القلب

ربما تقول : ليس هذا من العدل أو الانصاف . تفكر في حياتك الصالحة ، فلا تفهم لماذا تدان ، ولا سبب سوى انك لم تقبل يسوع المسيح ...

اسمع : قد يكون في بلدك شخص طيب القلب، لطيف مع والديه ومع اطفاله ومع اصحابه وجيرانه ، ولكنه يأخذ زوجته، التي وعد وتعهد أن يحبها ويرعاها، ويسيء الى عرضها وشرفها ويتركها مطروحة على الارض اقرب الى الموت منها الى الحياة . ثم يلقى عليه القبض ويُجلب الشهود. فيأتي منهم مئة، ويشهدون جميعاً نفس الشهادة قائلين: هذا الرجل كان لطيفاً ... لطيفاً جداً مع ابيه وامه وبنيه وبناته واصحابه وجيرانه ...

اذ ذاك وجّه القاضي بصره نحو الشهود قائلاً : انني احاكم هذا الرجل لا على أساس معاملته للآخرين، بل على نقطة واحدة ألا وهي معاملته لزوجته . فالآن اشهدوا هل كان لطيفاً مع زوجته ؟ واذا بالشهود يصمتون . ولم يكن ثمة شاهد واحد بجانب الرجل . فأدانه القاضي وحكم عليه بما يستحق ! وكان الحكم عدلاً وصواباً ولو ان الجريمة قد اقترفت ضد شخص واحد .

يا صديقي! هل تظن ان في وسعك ان تكون لطيفاً مع كل البشر في العالم ، وتكون قاسياً مع ابن الله ولا تدان ؟ هذا محال . ليس المهمّ أي حياة تحيا ، أو كيف تعامل أترابك وأقرانك، وانما المهم: ماذا فعلت بيسوع المسيح ؟ فاذا تجاهلت ، أو أهملت يسوع المسيح فان الله سوف يدينك على ذلك. لا يمكن أن تسيء معاملة ابنه وتنجو.

لقد بذل الله ابنه الوحيد عنك منذ أكثر من ١٩٠٠ سنة ، وحمل يسوع المسيح خطاياك في جسده على الخشبة، ومات لكي تحيا أنت. وها هو الله اليوم يقدّم لك الخلاص بدون مال وبدون ثمن ، ويقول لك أن تقبل ابنه مخلصاً لك . فاذا رفضت، فماذا عساه يفعل سوى أن يدينك ؟ اذاً ، يتوقف كل شيء على علاقتك بيسوع المسيح .

قد تكون حياتك مثالية الى أبعد الحدود بحيث لا يجرؤ أحد أن يلصق باخلاقك وتصرفك أي عيب . قد تكون غايةً في الأدب والرقة مع اصحابك وجيرانك ، ولكنك أسأت معاملة ابن الله ... مراراً وتكراراً رفضت عطايا رحمته ! كم من سنوات وقف ابن الله على باب قلبك ! وحتى الآن لم تسمح له بالدخول !

وماذا تعتقد ان الله سوف يقوله لك عندما تقف في حضرته ؟

هل يمكن للطفك ورقّتك مع أقرانك ورفاقك ان تغطي على قسوتك وسوء معاملتك ليسوع المسيح ؟

ان خطاياك الاخرى تكاد تكون لا شيء أمام هذه الخطية العظمى : خطية رفض ابن الله !

عدوّك

أما زلت تصر على ادّعائك ان الله ظالم ، وأن لا حق له أن يدينك من أجل رفضك يسوع المسيح مخلصاً لك ؟

اسمع ! افرض ان لك عدواً ، لم يألُ جهداً أن يلحق بك كل أنواع الضرر والأذى الذي في سلطانه . فهو يكره رؤياك ، ويلعن الأرض التي تمشي عليها ، وكان السبب في تحطيم روابطك العائلية وفي خراب بيتك وهدم اسرتك !

تمر الأيام واذا بك تسمع عنه انه يتضور جوعاً ، وتأخذك الرحمة والرقة وتبحث عنه ثم تقنعه أن يعود معك الى بيتك . وتأتي له بالطعام الوافر ، وتدعوه للأكل ... ولكنه رغم الالحاح الشديد المتواصل يجلس بجوار المائدة الحافلة بما لذ وطاب ، ولا يرفع يداً... وفي النهاية يسقط على الأرض ويفارق الحياة .

لماذا مات هذا الانسان ؟ ماذا كان في الامكان عمله ولم يُعمَل ؟ مات لأنه آثر الموت على الحياة ... كانت الحياة في متناوله ، ولكنه فضّل الموت . ألحّوا عليه ليأكل ولكنه رفض . ونتيجة لذلك ، مات ... وهل كان يمكن أن يكون غير ذلك ؟

هل أنت مستعد أن تسمع ما يقوله الله ؟ هل تقبل الرب يسوع اليوم مخلّصاً لك ، عالماً بأنه أمات الخطية بذبيحة نفسه ، وبأنه فتح بموته طريقاً يمكنك به ان تخلص ؟ فهل تأتي الآن وتتصالح مع الله ، مقترباً اليه كخاطىء فقير مسكين ، لا يستحق رحمته ونعمته بل تأتيه في استحقاق ابنه وحده ؟ هل تفعل ذلك ام تفضّل ان تبقى كما أنت ومن ثم تستوجب غضب الله ؟

بدون يسوع

والآن اسمح لي ايها القارىء العزيز، أن اغيّر قليلاً سؤال بيلاطس «ماذا افعل بيسوع الذي يُدعى المسيح»، واطرحه عليك في الشكل الآتي : «ماذا أفعل بدون يسوع ؟»

ماذا تفعل بدون يسوع في ساعة الموت ؟ هل أنت مستعد أن تواجه عدوك الاخير وحدك؟ لن آخذ جميع ملايين هذا العالم وأسير في وادي الموت بدون يسوع المسيح .

وماذا تفعل بدون يسوع في يوم الدينونة الرهيب ؟ هل تقف أمام الله وحدك ؟ لن أقبل كل ملايين الارض واواجه الله بدون شفيع . انني أريد واحداً يقف بجانبي ويدافع عن قضيتي .

وماذا تفعل بدون يسوع في الأبدية ؟ بعد الف سنة من اليوم ستكون في مكان ما . أجل ! ولكن أين ؟ وهذا سيكون بداءة فقط ... هل يمكنك أن تواجه الأجيال ، التي لا تحصر ولا تُعدّ ، في الأبدية بدون يسوع ؟

وماذا تفعل بدون يسوع في ساعة الحزن ؟ قد تكون شاباً ، ولم تذق بعدُ ألم الحرمان والحزن ... ولكن تأكد انه قبل ان تمر السنون الكثيرة ، سوف تمر في محن وأحزان ! فهل تظن انك تقدر على احتمال الحزن وحدك ؟

الامّان الهنديتان

كنت ، وانا في التاسعة عشرة من عمري ، مرسلاً بين الهنود . وقد عشت وحدي بينهم بالقرب من ألاسكا .

وفي يوم من الأيام مات طفل منهم ، وقد ووري جثمانه بالقرب من شواطىء المحيط الهادىء ، تحت أشجار الغابة العظيمة . وقفت الام ترقب التراب يغطي الجثمان ، واذا بها فجأة تضع رأسها بين يديها واخذت تنتف شعرها حتى أمسى رأسها كتلة من الدم . وفي عودتها الى البيت كانت تصرخ وهي تخترق شوارع القرية ، وتصيح بشكل فظيع حتى ان صراخها كان يسمع على مسافة بعيدة .

وبينما كنت هناك مات طفل آخر من الهنود ، وحملت جثته على ذراعيّ ، وسرت به وسط الغابة الى شاطىء المحيط الهادىء. وسار ورائي الهنود واحداً خلف الآخر حسب عاداتهم . وفي الأرض الصخرية حفرنا قبراً آخر لهذا الطفل. وبينما نحن نغطي الجثمان بالتراب وقفت الام بجانب القبر تبكي . لم ترفع صوتها عالياً ، ولم تقطّع خصل شعرها ، لكنها كانت تبكي في هدوء . ولما انتهى كل شيء اقفلت راجعة الى بيتها وهي تبكي لنفسها .

يا له من فرق شاسع ! كلٌ من هاتين الوالدتين فقدت طفلاً لها وكلٌ منهما احبت ابنها كما تحب الامهات اولادهن ... ولكن واحدة استطاعت ان تحتمل الحزن، والاخرى لم تحتمل... فلماذا هذا الفرق؟

كانت الام الاولى وثنية ، لم تعرف يسوع المسيح . نظرت الى وجه طفلها الصغير وصرخت قائلة : لن أرى طفلي مرة اخرى . فلا عجب انها ولولت وبكت بحرقة ، ولا عجب انها قطعت شعرها .

اما الام الثانية فكانت مسيحية ، عرفت يسوع المسيح، وتعمق في قلبها رجاء القيامة. وقالت: لن يرجع اليَّ ، ولكني ساذهب اليه. عرفت ان راعي الخراف العظيم سوف يحمل حملها الصغير في ذراعيه ويحفظه حتى يسلمه اليها ثانية ، وسيكون لها في الأبدية !

هذا هو الحال ... في كل مرة أقود فيها خدمة جنازة الاحظ ان الذين يعرفون يسوع المسيح يقدرون ان يحتملوا حزنهم بسبب الرجاء الذي لهم ، والذين لا يعرفونه لا يقدرون أن يواجهوا مثل هذا الحزن – انهم يحنّون من فرط الحزن .

لست أدري كيف تستطيع أن تواجه أحزانك بدون يسوع المسيح.

قرارك

«ماذا أفعل بيسوع الذي يدعى المسيح ؟» كلا ، يا أخي، ليس هذا هو السؤال ، وانما السؤال سيكون في ذلك اليوم : «ماذا يفعل يسوع بي ؟» في الوقت الحاضر السؤال هو : ماذا أفعل بيسوع ؟»

ان ما يفعله يسوع المسيح بك حينئذ يتوقف على ما تفعله به الآن.
ماذا أفعل ؟ ينبغي أن تفعل شيئاً ... ينبغي أن يُتّخذ قرار
ماذا أفعل؟ وهذا القرار شخصي ، لا يقدر أحد أن يقرر عنك.
قرر الآن وقرر لنفسك .

ماذا سافعل حينئذ بيسوع ؟ لا يهم كثيراً لأي كنيسة تنتمي ، أو كيف تعمدت . وانما المهم ، بالدرجة الاولى ، علاقتك مع يسوع المسيح . فماذا تفعل به ؟

ماذا أفعل ؟ ليس السؤال «ماذا أعتقد ؟» بل : «ماذا أفعل ؟» وليس السؤال سؤالاً عقلياً ذهنياً، يتعلق برأسك وبعقلك، بل يتعلق بقلبك وبارادتك. ليس المهم ما تظن أو تعتقد وانما المهم القرار الذي ستتخذ. هل تقبل أو ترفض؟ ان على قرارك يتوقف مصيرك الابدي.

لذلك اتوسل اليك واناشدك أن تقرر، وان تقرر الآن. لا تؤجل الى الغد ، قرر الآن . فقد يكون الغد متأخراً ويفوت الاوان : «هوذا الآن وقت مقبول . هوذا الآن يوم خلاص» (٢ كو ٦: ٢) . فما هو جوابك ؟ ان قبلت يسوع فانت مخلّص ، وان رفضته فانت هالك ...

فاقبله اذاً ، لا ترفضه ! واقبله الآن .

٤

مَا مَعْنَى «أن تؤمن؟»

مرت علي فترة في حياتي لم أعرف خلالها ما اذا كنت مخلّصاً أم هالكاً . واذكر اني كنت أشتغل في احدى الشركات في تورنتو ، واحمل رسائل من دائرة الى دائرة . وبينما كنت أسير في الدهليز التي تحت الأرض في مبنى تلك الشركة العظيمة ، لم يكن ليهمني ما أحمله من رسائل وانما كنت مهتماً بسؤال واحد: «أمخلّص أنا أم هالك؟»

وبعد زمن تركت تلك الشركة واشتغلت مع جمعية للكتاب المقدس أبيع كتباً مقدسة في بعض الضياع . وبينما كنت أسير في طرقات الريف الكثيرة الغبار حاملاً الكتب المقدسة ، ما كنت لأكترث بالانهار والبحيرات الجميلة والزهور الرائعة ، ولا بتغريد العصافير الشجي ، وانما كان يشغلني ويهمني نفس السؤال : «ربي ! أمخلّص أنا أم هالك ؟ ان كنت هالكاً ، فاعلمني لكي أخلص ؛ وان كنت مخلّصاً فأعلمني لكي أبتهج بخلاصي!» وانتهى عملي في الصيف ورجعت

الى تورنتو لا أعلم ما اذا كنت من أهل السماء أو الجحيم !

وفي مساء أول أحد ، بعد عودتي ، دخلت كنيسة مشيخية. ولما جلست على المقعد أحنيت رأسي وصليت حتى يعظ الراعي عن الايمان الخلاصي ويقدّم حلاً لمشكلتي . واخيراً دخل الدكتور ماكفرسون واعتلى المنبر وبدأت الخدمة. في تلك الليلة تكلم الواعظ عن الايمان، فأصغيت بكل جوارحي كأني أريد التهام كل كلمة يقولها . ولكن في نهاية الخدمة ، نهضت مع مئات المصلين ، وخرجت من الكنيسة دون أن أعلم ما اذا كنت مخلصاً أم هالكاً .

لماذا ؟ ألأن الدكتور ماكفرسون لم يكرز بالانجيل ؟ كلا ، فقد كرز بالانجيل وكان مراراً وتكراراً يقول: «آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص». فما هو السر ؟ دعني أقولها بكل صراحة : ان الدكتور ماكفرسون لم يحاول مرة في سياق عظته أن يشرح لنا معنى كلمة «آمن» وهذا هو سر مشكلتي ... فقد عرفت انه يجب أن اؤمن وقد آمنت دوماً ، ولا أعرف عن وقت في حياتي لم اؤمن فيه ، فمنذ نعومة أظفاري أنا اؤمن ، كما اؤمن اليوم . ومع ذلك لم اعرف اذا كنت مسيحياً أم لا .

ولم يكن في البيئة التي نشأت فيها ملحدون أو لاادريون أو كافرون . صحيح انه كان هناك بعض السكيرين ، او الشتّامين، او اللاعنين ، او الكذابين ، او السارقين . وصحيح ان كثيرين منهم لم يعترفوا انهم مسيحيون ، ولكنهم جميعاً كانوا يؤمنون . بل لم اعرف شخصاً واحداً كان يضع صحة الكتاب المقدس موضع الشك !

ألا يوجد ملايين في مثل هذه الحالة ؟ لقد وجدتهم في مختلف

المدن والبلدان التي ذهبت اليها . وفي مختلف القارات ملايين ممن يؤمنون لكنهم غير مخلّصين . وان كان ملايين ممن يؤمنون بالمسيح غير مسيحيين فما معنى الايمان اذاً ؟

وفي يوم من الأيام وقع في يدي كتيّب صغير اسمه «الامان ، اليقين، البهجة» كتيّب كانت تستخدمه غالباً الملكة ماري (والدة الملك جورج السادس) في كلامها مع الناس عن المسيح . وما قرأته حتى تلاشت شكوكي ، وتأكدت خلاصي . ومنذ ذلك اليوم لم يأتني اي شك من اي نوع .

ثلاث خطوات

للايمان الخلاصي ثلاث خطوات هي اشبه شيء بثلاث درجات في السلّم . الاثنتان الاوليان ليستا بكافيتين للخلاص ، واما الثالثة فبها يتم الخلاص . ومع ذلك لا يمكنك ان تخطو الخطوة الثالثة ما لم تمر بالاثنتين السابقتين .

اسمع

الخطوة الاولى اشير اليها بكلمة «اسمع». قال الكتاب : «وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به» ؟ من الضروري ان يحصل الانسان على معرفة خلاص الله قبل ان يؤمن . ولهذا السبب يذهب المرسلون الى مختلف البلدان والاقطار النائية للمناداة بانجيل الخلاص اذ ينبغي ان الوثنيين يسمعون قبل ان يؤمنوا . السماع هو الخطوة الاولى .

آمن

واشير الى الخطوة الثانية بكلمة «آمن» ، وهو قبول الحق عقلياً، اي تصديقه . فبمجرد ان تقبل الحق عقلياً تكون قد آمنت به ، وتكون قد اتخذت الخطوة الثانية .

فتلاحظ اذاً ان الكلمة « آمن » تشير الى العقل والذهن وتتعلق بعملية عقلية. وفي امكانك ان تعتقد وتؤمن بما تشاء عن يسوع المسيح ومع ذلك لا تخلص . وبامكانك ان تؤمن بكل ما اؤمن به انا عن الكتاب المقدس، وتهلك ابدياً. ذلكم هو ايمان الشياطين . قال الكتاب صراحة : «الشياطين يؤمنون ويقشعرون ». وكانوا بين اول من نادوا بالمسيح ابن الله ، ولكنهم لم يخضعوا له. ولعلهم يؤمنون بالمسيح قدر ما تؤمن انت بل اكثر . فهم لا يشكّون لحظة في الوهيته، ولكن ايمانهم عقلي ذهني ، لا غير . ومثل هذا الايمان لا يغيّر حياتهم . وقضاؤهم اكيد محتوم ، ولذلك يقشعرون .

اعرف كنيسة تطرح على النساء والرجال الراغبين في الانضمام الى عضويتها ، سؤالاً واحداً ، لكنه مؤلف من قسمين : «هل تؤمن ان الله يحبك ، وان يسوع المسيح ابنه مات من اجلك ؟» فمن امكنه ان يجيب عن هذا السؤال بالايجاب يقبل للعضوية .

ولكن من ذا الذي لا يؤمن بمحبة الله ؟ كل من يؤمن بالكتاب المقدس يؤمن بمحبة الله . ومن ذا الذي لا يؤمن بان يسوع المسيح مات لأجل البشر والكتاب المقدس يقول انه مات ؟ وان كنت تؤمن بالكتاب فانك تؤمن انه مات من اجلك . ان هذا الايمان لا

يصيّرك مسيحياً . انه ايمان عقلي. وكم من الوف الناس يؤمنون بمحبة الله وبموت المسيح ، وليسوا بمسيحيين ! ان الخطوة الثانية – وهي الايمان – لا تخلّص أحداً ، ومع ذلك فان جموعاً مؤلفة تقف عندها ولا تتخطاها الى الثالثة . ولذلك لا ينالون الخلاص .

ترى ما هي الأسئلة الروتينية العادية التي توجّه الى طالبي الانضمام لعضوية الكنيسة ؟ هذه هي الاسئلة : هل تؤمن بولادة المسيح من العذراء مريم ؟ وهل تؤمن بموته وقيامته ومجيئه الثاني ؟ هل تؤمن بان المسيح مات من اجل خطاياك؟ ومثل هذه الاسئلة اسئلة عقائدية، ويمكن اي انسان ان يجيب عنها عقلياً . اما الأسئلة التي اريد ان اسألها فهي : هل ولدت ولادة ثانية ؟ هل انت مخلّص ؟ هل قبلت الرب يسوع المسيح؟ ومثل هذه الأسئلة أسئلة اختبارية. وان استطعت ان تجيب عنها بالايجاب ، فانني لا اهتم كثيراً بباقي الأسئلة .

اتكل

ان الخطوة الثالثة ، والخطوة الوحيدة التي تخلّص، هي ما اعبّر عنها بكلمة «ثق ، اتكل »

لما سأل سجّان فيلبي سؤاله قائلاً : «ماذا افعل لكي اخلص ؟» جاءه الجواب كما يأتي: «آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص» اي «اتكل وضع ثقتك في الرب يسوع فتخلص» (اع ١٦ : ٣٠ – ٣١) . وواضح ان الاتكال ووضع الثقة في الرب يسوع لا دخل له بالمرة بالعقل بل يتعلق تماماً بالارادة، ويستلزم من الشخص ان يتخذ قراراً . وكم من اناس «آمنوا» ولكنهم لم «يتكلوا» ! ولكن ما معنى التوكّل ؟

١ – التوكل ينفي الجهد الشخصي

ان تتوكل معناه ان تبعد جهودك الشخصية . هل جربت ابداً ان يعلمك احد السباحة ؟ هل تذكر كيف وقفت في الماء بجانب معلمك وكيف قال لك : « ان الماء يتحمل وزن جسمك . وكل ما عليك هو ان تتكل على الماء، ألق نفسك على ظهرك واسبح». وهل تذكر كيف ألقيت بنفسك على الماء وكيف سبحت وغصت الى الأعماق؟

وهل تذكر كيف وقفت مرة ثانية بجانب معلمك وكيف قال لك: «لماذا شددت عضلاتك ؟ ولماذا كتمت انفاسك ! ألم تتكل على الماء؟ لماذا لم تتكل مع ان المياه تحمل أساطيل عديدة كبيرة ؟ انها تقدر ان تحملك ايضاً ». ثم رميت بنفسك مرة اخرى على ظهرك في الماء، وانت تحبس انفاسك قليلاً ، وتشد عضلاتك بعض الشيء ثم تغطس الى الأعماق .

ومن ثم وقفت مرة اخرى بجوار معلمك ، وأعاد عليك قوله بان تتكل على الماء ، ولكنك في هذه المرة ، وبدون بذل اي مجهود من جانبك، رميت نفسك على ظهرك في الماء، ولفرط سرورك وبهجتك وجدت نفسك تعوم .

ليتك ، ايها القارىء العزيز ، تجرب ان تعوم الآن على خلاص الله العظيم ! اطرح جانباً كل جهودك الشخصية، كف عن النضال والجهاد، لا تحاول ان تعين ذاتك عن طريق الأعمال او التدين ، اسبح فقط.

الاتكال ينفي الجهود ، فما دمت تحاول أن تجاهد وتعمل فانك غير متوكل .

٢ – التوكّل يتضمن التسليم

وخير مَثل أُوضح به ما أعني هو حفلة الاكليل . هاكم شاباً يعاشر فتاة ويقضيان معاً بعض الوقت في الاختبار ومن ثم يواجهها بالسؤال المهم الخطير وتجيبه بالقبول وتتم الخطبة .

يعد هذا الشاب فتاة أحلامه بوعود كثيرة والفتاة تصدق ما يقول. وبعد زمن تأتي صديقاتها ويسألنها بعض الأسئلة قائلات : فهمنا ان خطيبك وعدك ببيت . وتجيبهن الفتاة : نعم

– ووعدك بثياب كثيرة كما وعدك بمأكلك ومشربك . والآن حدثينا ، هل اتاك بالبيت الموعود. وتجيبهن الفتاة: كلا لأنني ما زلت أعيش مع أهلي .

– وماذا عن المأكل ؟ هل يقدم لك ما تحتاجين اليه من طعام ؟

– بالطبع لا ... إلا اذا خرجنا للأكل في مطعم ؛ وأحياناً أقوم أنا بدفع الحساب .

– وماذا عن الثياب ؟ هل زودك بالثياب الموعودة ؟

– كلا لأن والديّ ما يزالان يبتاعان ثيابي

وتقول الصديقات لها : يا للعجب ! هل تصدقين هذا الشاب ؟

فتجيب : بكل تأكيد اصدقه، انني اصدق كل كلمة تخرج من فمه ولا يأتيني الشك اطلاقاً .

لقد سارت هذه الفتاة في الخطوة الثانية : لقد صدقت وآمنت

تمر الأيام ويأتي ذلك اليوم الذي لا ينسى عندما يقف الشاب أمام الجمهور المحتشد في الكنيسة مولياً وجهه نحو الراعي وهو على احر

من الجمر. وكأني به لم يقف طول حياته مدة اطول مما وقف في تلك اللحظة التي لاحت في عينيه اطول من دهر . واخيراً على نغمات الموسيقى تدخل العروس ببطء متأبطة ذراع أبيها والاعناق تشرئب اليها والعيون تتفرس فيها وهي تسير سير السلحفاة مما اعطى فرصة لكل واحد ان يعجب بجمال ثوبها .

واخيراً يصل بها المطاف الى الامام ، وتقف بجوار رجل رفقتها.

ويوجه الراعي سؤالاً أو سؤالين غاية في الاهمية : هل تريدين ؟ وتجيب نعم... واذا بشيء يحدث مما لم يسبق له مثيل. وأنا ارجوكم ان تلاحظوا ، اذا شئتم، بعين الدقة والانتباه ، كلماتي . ان هذه الفتاة، لاول مرة في حياتها ، تسلّم نفسها ، وتعهد بنفسها الى هذاالشاب ، وتتكل عليه واثقة به . واذ تمسك بذراعه تترك الكنيسة وهي تحت حمايته ، فلا حاجة لها الآن أن تشتغل فقد أضحى زوجها مسئولاً عنها ومن واجبه ان يعولها ويرعاها . لقد انتهت همومها وعليه ان يدبر كل شيء لها .

وبعد قليل تأتيها صديقاتها مرة اخرى ويسألنها : هل أعطاك زوجك بيتاً ؟ فتجيب : نعم فاننا نعيش الآن معاً في بيتنا.

— وهل يقوم بنفقات طعامك ؟ — نعم انه يدفع كل الحساب للبقال واللحام (القصّاب) انه يدفع جميع نفقات الطعام .

— وماذا عن الثياب ؟ — انه يشتري ملابسي ، يشتري كل ما احتاج اليه . وفي الواقع انه يقوم بكل شيء .

ولكن متى استطاعت هذه الفتاة ان تحصل على كل شيء ؟ هل كان ذلك لما خطت الخطوة الثانية أي عندما صدّقت وآمنت أم

عندما اخذت الخطوة الثالثة واتكلت. لقد آمنت ولم تأخذ شيئاً... ولكن لما اتكلت نالت كل شيء ، ولم تأخذ شيئاً حتى اتكلت تماماً . وهكذا الحال مع الخلاص : بامكانك ان تؤمن بما تريد ان تؤمن به ولا تأخذ شيئاً ، ولكن في اللحظة التي فيها تسلّم نفسك ليسوع المسيح ، في اللحظة التي فيها تقدّم ذاتك له ، في اللحظة التي تعهد بنفسك اليه ، في اللحظة التي فيها تتكل عليه وتثق فيه تماماً ، تنال الخلاص ... ولكن لن تناله حتى تفعل ذلك .

هل فعلت ذلك أبداً ؟ انه أمر يحتاج للتسليم، الامر الذي ينبغي ان تفعله . وكما فعلت تلك الشابة بعد ان قطعت الممشى في الكنيسة اذ اعطت نفسها لرجل رفقتها طول حياتها ، هكذا ينبغي ان تسلم نفسك للرب يسوع المسيح الآن والى الابد اذا رغبت في الخلاص . ان الخطوة الثالثة غاية في الاهمية: يجب ان تتكل على يسوع المسيح. فهل لك ان تفعل ما فعلته هذه الفتاة ؟ هل تسير في ممشى الكنيسة الى الأمام ؟ هل تسلّم نفسك للعريس السماوي كما سلمت هي نفسها لعريسها الأرضي ؟ هل تدين بالولاء والاخلاص له ؟ ان فعلت ذلك ، فسوف تكون له الى أبد الآبدين، وسوف يكون مسئولاً عنك تماماً.

هاكم سباحاً ماهراً أوشك على الغرق ! يغوص في الماء لأول مرة وهو يعارك المياه بشدة، بينما يقف على الشاطىء رجل طوى ذراعيه، ولم يبدِ حراكاً أمام هذا المشهد ليحاول انقاذ الغريق . واذا به يغوص للمرة الثانية يناضل ويجاهد، ولكن الرجل الذي على الشاطىء لا يحاول أبداً أن يخلصه. وها الغريق يغوص في لجة الماء للمرة الثالثة والاخيرة لكنه لا يجاهد ، بل تتدلى ذراعاه الى جنبه ، وبصوت

خافت ضعيف يصرخ قائلاً: النجدة! وفي لحظة يفرط الرجل الواقف على الشاطىء ذراعيه ويغوص في الماء وينقذ الرجل الغريق.

فلماذا لم يفعل ذلك قبلاً ؟ لم يفعل ذلك لأنه ظن ان في امكان الرجل أن يخلص نفسه ، فانتظر حتى أوشك الغريق على الاستسلام. وفي اللحظة التي فيها اتكل الغريق على منقذه أنقذه . وكل ما كان يطلب من الغريق ، حين اقترب اليه المنقذ ، تسليم نفسه له لكي يخلصه . وفي اللحظة التي فيها قدّم نفسه لمنقذه واتكل عليه، في هذه اللحظة بالذات خلصه وأنقذه . يا صديقي ، عندما تقبل أن تسلّم نفسك لمنقذك ، المسيح الحي المقام ، ستخلص. وتأكد ان ما تعتقده وتؤمن به عنه لن يخلصك ، بل يجب ان تتكل عليه .

« آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص » ، أي اتكل على الرب يسوع فتخلص .

٣ – التوكل يتطلب عملاً

دعني اوضح ما أعنيه بالقصة التالية التي حدثت في ٣٠ حزيران (يونيه) ١٨٥٨ .

كان الوقت صباحاً مشرقاً. وكانت شلالات نياجرا ثائرة مزمجرة على الصخور التي في أسفل الشلالات. وامتد من الشاطىء الى الشاطىء حبل يبلغ طوله ٣٣٥ متراً لكي يسير فوقه تشارلس بلوندن أعظم رجل في العالم يمشي على الحبال. وقد خصّصت قطارات لتنقل جماهير المتفرجين من تورنتو وبفالو .

وبتوازن قائمته الخشبية البالغ وزنها أربعين رطلاً ، خطا بلوندن

فوق الحبل وبدأ عبوره، بينما خفقت أصوات الجموع المحتشدة . وحينما وضع قدمه بانتصار على الشاطىء الآخر ، صعدت أصوات الفرحة العظمى وقد طغت على ضوضاء الشلالات نفسها .

والتفت الى وجوه الآلاف المؤلفة، وعرض عليهم اقتراحاً ، واي اقتراح: قطع الشلالات ثانية ولكن حاملاً رجلاً على ظهره... ولكن من هو هذا الرجل ؟ وأخذت الجموع تتحدث بانفعال عن الأمر .

ونظر السائر على الحبال الى شاب وسيم الطلعة وقال له : هل تعتقد انني أقدر أن احملك وأعبر بك سالماً ؟

فأجابه الشاب : بكل تأكيد أومن .

فقال له البطل : هل تسمح لي بحملك ؟

– هل اسمح لك؟لا... وهل تظن انني اجازف بحياتي بهذه السهولة؟

فمضى البطل يسأل هنري كولكورد – وهو مديره – قائلاً : وماذا عنك ؟ هل تؤمن انني استطيع أن احملك عبر النهر ؟

فاجاب كولكورد : اومن تماماً . بل لا يوجد لدي شك اطلاقاً.

– هل تتكل عليّ ؟

– نعم ! بكل تأكيد .

وكان الناس قد حبسوا أنفاسهم كأن على رؤوسهم الطير ! وها هو بلوندن يمسك القائمة الخشبية البالغ وزنها ٣٨ رطلاً ويبدأ المشي على الحبل ، والحبل يشتد وينوء تحت حملها . وسار خطوة خطوة ، ببطء ولكن بأمان ، بدون تردد ، بل بثقة! حتى وصلا الى النصف، وتحتهما أمواج المياه الصاخبة برغوتها المخيفة المرعبة، تغلي فوق الصخور المفزعة . ووقف بلوندن بحمولته كما لو كان وسط الهواء !

وها هما يقتربان من شاطىء كندا ، وقد ساد الوجوم على الجماهير المنفعلة الثائرة. وبلغ الانفعال والأعياء أقصاه، وفجأة حدث توقف ! قُطع حبل التثبيت . واخذ الحبل (الذي يسير عليه البطل) يتأرجح بشكل فظيع، وطلب بلوندن من كولكورد ان ينزل من فوق ظهره. فنزل فعلاً ووقف بقدم واحدة على الحبل ويداه على كتفي بلوندن .

فصاح بلوندن قائلاً : لستَ الآن كولكورد . أنت الآن بلوندن . كن جزءاً مني ، فاذا تأرجحتُ تأرجح معي ، لا تحاول أن تعمل توازناً والا هلكنا كلانا .

فركب كولكورد مرة اخرى على ظهر زميله، وكلما تحرك الحبل أسرع بلوندن في ركضه (ولا يعلم أحد كيف تسنى له ان يحفظ توازنه ولكن الأمر الثابت انه حفظ توازنه). واخيراً وصلا بسلام. وها هما يقفان على الأرض اليابسة ، بينما انطلقت الجموع في هياج وانفعال . انتهت فترة التوتر ، وانتهت حرب الأعصاب !

يربط الزمن الحاضر بالأبدية حبلٌ عظيم هو حبل الخلاص . حبلٌ ما انقطع قط. ويسوع المسيح وحده هو الذي يستطيع عبور الجسر !.. قد تكون سمعت عنه الكثير . فقد تكون مثل الرجل الأول، مؤمناً بأن يسوع يقدر ان يعبر بك. ولكنك لن تعبر الجسر ما لم تتخذ الخطوة الاخيرة وتسلّم نفسك له . قد تؤمن، ولكن هذا لا يكفي ، ينبغي ان تتوكل عليه .

فهل اتكلت عليه ؟ او هل تؤمن به بعقلك فحسب؟ هل أخفقت ان تأخذ آخر خطوة هامة ؟ ان كان كذلك ، فاناشدك ان تتكل على الرب يسوع ! ان فعلت ، خلصت .

٥

طريقُ الخلاصِ

في العالم اليوم فريقان من الناس : المخلّصون والهالكون ، المؤمنون بالمسيح وغير المؤمنين بالمسيح . وأنت ، يا صديقي ، الى أي الفريقين تنتمي ؟

يوجد طريقان : الطريق الضيّق الذي يؤدي الى السماء والحياة الأبدية ، والطريق الرحب الذي يؤدي الى الهلاك والموت . وأنت ، في أي الطريقين تسير ؟ هل انت في الطريق الى السماء ام في الطريق الى جهنم ؟

يوجد سيّدان : الله والشيطان. «ولا يقدر احد أن يخدم سيدين». فأيّ الاثنين أنت تخدم ؟

الطوفان العظيم

ما أرعب الصورة التي تظهر أمامنا ونحن نفكر في الطوفان

العظيم الذي أهلك كل البشرية باستثناء نوح ومن معه في الفلك ! فان الخطاة الذين عاشوا عيشة أدبية صالحة ، غرقوا مع الفجّار والخطاة تحت غمرة المياه التي جرفتهم الى الأبدية .

لم يكن هناك سوى فريقين : الذين كانوا داخل الفلك ، والذين كانوا خارج الفلك. لم يكن مهماً، في قليل او كثير، أكانت خطاياهم كبيرة أم صغيرة، او أكانت حياتهم – على حد تعبير الناس – صالحة أم ردية . انهم عصوا الله ، ورفضوا انذاره كما رفضوا دخول فلك الأمان . ولم يكن امامهم سوى احد أمرين : إما الفلك وإما الموت .

آه ! ما كان افجع البكاء والعويل والصياح حين شرعوا يتخبطون ويتسلقون الى قمم الجبال !وحين بدأوا يتحققون ان صلواتهم ودموعهم جاءت بعد فوات الاوان وانها لا تفيدهم شيئاً حيث لا نجاة ولا مفر . فالجميع اذاً يجب ان يهلكوا لانهم اهملوا دخول الفلك .

ان قضاءك محتوم ودينونتك أكيدة ، لا لأنك ارتكبت جريمة قتل، ولا لأن يديك ملطختان بالدم، بل لانك أهملت الرجاء الوحيد للنجاة كما قُدّم اليك . ألم تهمل هذا السؤال وأغفلت الاجابة عنه : «فكيف ننجو نحن ان اهملنا خلاصاً هذا مقداره» (عب ٢ : ٣) ؟ اسمع كلمة الله ! « الاشرار يرجعون الى الهاوية . كل الامم الناسين الله» (مز ٩ : ١٧) . قد تكون عشت أحسن عيشة ظاهرياً ، ولم ترتكب قط شيئاً ردياً في حياتك من خطايا العصر المغرية الظاهرة ، ولكن يكفي انك اهملت خلاص الله ، وأخفقت في دخول فلك الأمان ، يسوع المسيح ، وبذلك فأنت مدان ومصيرك الهلاك .

مدن السهول

عندما أهلك الله مدن السهول، هل تعتقد ان جميع سكان سدوم وعمورة كانوا متساوين في خطيتهم وفجورهم ؟ ألم يكن هناك خطاة «كبار» وخطاة «صغار» ؟ هل كانوا جميعهم مجرمين؟ كلا ، ولكنهم جميعاً كانوا خطاة ، وبالتالي اثمة مذنبين في عيني الله . ولما أمطر الله النار والكبريت أهلكتهم جميعاً على حد سواء ، الشيب والشباب ، العظام والصغار ، الصالح والطالح ، لأن جميعهم كانوا معاً في المدينة الواحدة وفي نفس الفريق الواحد وقد كتب عليهم أجمعين كلمة «مدان».

أبكار المصريين

لا اخال احداً يظن ان جميع ابكار المصريين كانوا على درجة المساواة في الفجور والفساد. ومما لا شك فيه ان كثيرين منهم كانوا من افضل رجال الارض – بينهم السياسيون والشعراء والفلاسفة والكهنة – ولكن الله قال : «أرى الدم واعبر عنكم» . ولذا عُبر عن كل بيت رُشّ الدم عليه ، وضُرب كل بيت لم يرش الدم عليه ، وقتل البكر منه . لم تكن المسألة مسألة شناعة الخطية بل مسألة طاعة : هل كان الدم هناك أم لا ؟ ومرة اخرى اكرر كان هناك فريقان : فريق رش الدم ، وفريق لم يرشه .

يا اخي ، هل انت محروس بدم المسيح؟ تذكّر : ان الدم يكفر عن النفس» (لو ١٧ : ١١) ، « وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة »

(عب ٩:٢٢) . ولقد قال الله في كلمات لا يقدر انسان ان يغيرها : «ارى الدم واعبر عنكم» (خر ١٢: ١٣) . والا فسوف تهلك ؟ هل كُفّر عنك بالدم ؟ حذار حذار ألا يكون كُفّر عنك بالدم ، فان طوفان دينونة الله سيجرفك . أمامك الموت والابدية ، ولا نجاة اذا لم تكن مغطّىً بالدم .

الجميع مذنبون

يمكنك ان تجد في اصلاحيات العالم العظيمة كل الطبقات ، من القتلة الى الخطاة المزمنين الذين تلطخت أيديهم بالدم ، الى الذين تأبى عليهم ضمائرهم حملَ السلاح: هؤلاء جميعاً تعدّوا قوانين بلادهم . وبالتالي فجميعهم مذنبون وجميعهم تحت الدينونة .

ليس من الضروري أن يغطس الانسان ميلاً تحت سطح الماء لكي يغرق ، فان قدماً واحدة من الماء تكفي . والحصان الذي يكسر جزءاً من السياج يحصل على حريته مثل الحصان الذي يحطم السياج كله تحطيماً .

وهكذا فان خطية واحدة تمنعك من دخول السماء ، وتضعك في عداد الهالكين ، كما لو انك اخطأت ملايين المرات ... أما قال الله : «لان من حفظ كل الناموس وعثر في واحدة فقد صار مجرماً في الكل» (يعقوب ٢ : ١٠) ؟ هل تؤمن بكلمة الله ؟ فكّر ملياً في هذا : ان عثرت في واحدة ، ان كسرت وصية واحدة فقط ، ان ارتكبت خطية واحدة فانت مجرم في الكل !

سلسلة من عشر حلقات

لنفرض انني معلق في سلسلة مؤلفة من عشر حلقات ، واذا بالسلسلة تنكسر فجأة وأسقط . وبعد الفحص يتبين ان ما انكسر هو حلقة واحدة فقط ، وظلت التسع الباقيات سالمات . ولكن السلسلة انقطعت . وهكذا الحال مع الخطية : اننا مربوطون بناموس يسمى العشر الوصايا ، اذا كسرنا واحدة ، واحدة فقط ، فاننا نهلك لاننا كسرنا الناموس .

هل حفظت كل الناموس؟ ألم تكسر واحدة منها ؟ ألست مجرماً على الاقل في خطية واحدة ؟ انا لا اسأل ما هي هذه الخطية فهذا لا يهم . قد تكون القتل ، او الشهادة بالزور ، او الزنى او السرقة . ولكن اذا كسرت واحدة ، واذا فشلت في نقطة واحدة ، فقد كسرت الناموس، وكتب عليك كلمة «مجرم» ووضعت في عداد اشر خطاة العالم ، حيث يمكث عليك غضب الله لانك تحت دينونة الله .

اعظم خطية

أتدّعي انك لست مجرماً! أتقول انك لم تخطىء قط !ولكني اريد ان اخبرك انك مجرم في اعظم خطية يمكن ان يرتكبها انسان . انا اتهمك بأبشع جرم يمكن ان يُلصق بانسان : رفضت الرب يسوع المسيح ، واحتقرت محبته ، وتجاهلت توسلاته ، ودست بقدميك دمه الثمين ! رفضت ان تقبل عطية رحمة الله ، وبذلك ارتكبت

جريمة خطية عدم الايمان، اعظم خطية عرفها الكتاب المقدس، خطية الجحود وعدم الشكر .

لقد قدّم الله اليك عطية ابنه، وانت ايها البائس الجحود، ترفض هذه العطية! «ومتى جاء ذاك (الروح القدس)» يقول يسوع «يبكت العالم على خطية». اي نوع من الخطية؟ القتل، الزنى، السرقة؟ كلا... بل اسمع ... «على خطية لأنهم لا يؤمنون بي» (يو ١٦: ٨ — ٩) .

خطية «عدم الايمان» ! هذه اعظم خطية لا تغتفر، انك لا تفكر أبداً في جرح شعور صديق أرضي برفضك هديته، فكيف لا تبالي برفض عطية الله التي عليها يتوقف خلاصك الأبدي ؟ ان كنت لم تخلص بعد فانك الآن مجرم بخطيـة عدم الايمـان — اعظم خطية يرتكبها انسان .

ليست مسألة عمق الخطية

ليست المسألة مسألة عمق الخطية . فالسؤال هو : ما هو موقفك ازاء يسوع؟ هل اتخذته مخلصاً لك ام لا؟ لا يوجد سؤال أعظم اهمية من السؤال الذي قدمه بيلاطس : «ماذا أفعـل بيسوع الذي يدعى المسيح؟» ان علاقتك بالمسيح يسوع هي التي ستقرر مصيرك الأبدي!

هل تعترف الآن انك مجرم ؟ ألست مقتنعاً بالخطية ؟ ألم تعرف ان خطية واحدة ستمنعك من دخول السماء للأبد؟ قد تقول: ليس هذا من الانصاف. ولكن أتنسى ان السماء مكان مُعدّ لشعب مُعدّ! فليس من العدل من جانب الله أن يسمح لك بالدخول بخطيتـك الى السماء

لأنك ستكون أشقى خلق الله هناك. ما عسى ان يكون شعورك لو وضعت بين اناس قديسين؟ هل تستمتع بذلك؟ ألست تشعر بانسجام مع الذين هم على شاكلتك من الخطاة ؟ ينبغي ان تستعدّ ، ينبغي ان تحصل على طبيعة جديدة وتولد ثانية لكي تتمتع بالاشياء التي من الله ، وتذكّر انه لن يدخل السماء دنس أو رجس لأن انقياء القلب هم الذين يعاينون الله (مت ٥: ٨) .

قدس الله

عندما نتأمل في قداسة الله اذ ذاك ندرك شيئاً عن شناعة الخطية. ولأن الناس يعرفون قليلاً عن قداسة الله فانهم يستخفون ببشاعة الخطية.

وبطرس لم يعرف خطيته وعدم استحقاقه الا عندما رأى يسوع، فصرخ قائلاً: «اخرج من سفينتي يا رب لأني رجل خاطىء» (لو ٥: ٨). ولم يصرخ اشعياء النبي قائلاً : «ويل لي لأني انسان نجس الشفتين ... لان عيني قد رأتا الملك رب الجنود» الا عندمـا رأى قداسة الله (اش ٦: ٥) . وهاكم ايوب الذي قال فيه الله انه كامل ومستقيم، بعد أن حاول اصحابه والشيطان عبثاً ان ينسبوا اليه نقصـاً في دينه أو أخلاقه ، حتى أيوب اعترف بخطيته عندمـا جابه قداسة الله قائلاً : «لذلك ارفض وأندم في التراب والرماد» (أي ٤٢: ٦) .

ايها الخاطىء ! ايها الخاطىء ! ماذا تفعل عندما تقف في حضرة الله ؟ فكما ان الغبار الذي لا يُرى يظهر في أشعـة الشمس ، هكذا خطيتك — مع انها مجهولة لديك — ستظهر في شناعتها وفظاعتها عندما تظهر في حضرة الحي القدوس البار !

حيثما ذهبت التقي باناس يعيشون في اختبارات كاذبة ، ويتكلون على اسس باطلة ، ظانين انهم مخلّصون في حين انهم غير مخلّصين . آلاف وآلاف من أعضاء الكنائس ، ومئات من المسيحيين الذين اعترفوا بايمانهم ، يعجزون ان يبيّنوا ما هو أساس رجائهم في السماء، ويظنون انهم على أحسن حال، وانهم مستعدون للقاء الله. ومع ذلك عندما توجه اليهم أبسط الاسئلة فان اجوبتهم تكشف الحقيقة بانهم يجهلون طريق الله للخلاص كما يجهل الوثني في افريقا .

لقد أعمى الشيطان عيونهم وأصم آذانهم وأغلظ فهمهم لئلا يفهموا ويرجعوا . ان نفوسهم مغطاة بظلمة حالكة، ولعل هذا هو عمل الشيطان أن يبقيهم على هذا الحال . وكثيرون منهم أعضاء عاملون في كنائسهم ، وموظفون امناء في مختلف لجانها وهيئاتها ، مستقيمون وكاملون ومهذبون في حياتهم – ولكن للأسف غير مخلّصين ...

والسبب الذي يدفعني أن أجعل الطريق سهلاً واضحاً هو أن نفوساً تموت وهي تظن ان كل شيء بخير. لعل بعض هذه النفوس تفيق من سبات ظنها الباطل فتنجو من الهلاك الابدي. يا لها من خيبة مريرة ان تكون مسيحياً ، معترفاً بايمانك ، وعضواً في الكنيسة ، وتفارق هذه الحياة وكلك رجاء ان تدخل السماء ثم ترى الطريق مسدوداً والباب مغلقاً !

والآن ، يا عزيزي ، اسمح لي ان ابرىء نفسي من دمك . دعني ابين لك الطريق، ودعني اسألك – مخلّصاً كنت أم لا – ان تصغي الى ما اقوله لك لئلا تخدع انت ايضاً !

انها لغريزة في قلب الانسان ان يفكر انه ينبغي ان يعمل شيئاً لكي يخلص . فمثلاً في بلاد الهند ، يوجد اناس ممن لا يعرفون نعمة الله ، ولا الحقيقة بان الحياة الابدية عطية ، فيحاولون بأعمالهم واستحقاقهم وجهودهم ان يصلوا الى الخلاص. فمنهم من ينام على فراش من الشوك وتحت اشعة الشمس المحرقة ، ومنهم من يرمي نفسه في النار ، ومنهم من يقطع على نفسه عهداً بالصمت أو برفع يدهم حتى تيبس، وآلاف يغتسلون في ماء نهر الكنج عساهم يستحقون الخلاص. وهذا نفس ما يحدث مع جميع الديانات والمذاهب التي تقول بوجوب العمل لنوال الخلاص! العمل! العمل! العمل! اجل! يا للعبودية القاسية التي يرزح تحتها الناس بسبب ديانات يصطنعها الناس ! وكم يصنع الانسان لنفسه صعاباً ويقيم مستحيلات! مع ان كلمة الله تؤكد صراحة ان الحياة عطية ولا يمكن الحصول عليها أبداً عن طريق الاعمال . يجب ان تقبلها كعطية ، وإلا فلن تكون الحياة الابدية من نصيبك.

«تموا» عكس «اعملوا لاجل»

يقول الكتاب صراحة : « تموا خلاصكم»، ولكن لم يرد في أي مكان منه القول : «اعملوا لاجل خلاصكم » . ويستحيل عليك حتى ان تبدأ عملاً ما لم يبدأ الله أولاً يعمل . ولا يقول الكتاب : « تموا كفارتكم» لان المسيح فعل ذلك منذ اكثر من ١٩٠٠ سنة . وما اشقى ما تكون حالتي لو انيطت بي مسئولية اتمام كفارتي بنفسي !

اذ لا يقدر ان يفعل ذلك سوى الرب يسوع المسيح !

هاكم شاباً يريد ان يلتحق بالكلية ويذهب الى المسجل ويدفع الرسوم ويقبل في عداد الطلبة ، ثم يقول له المسجل : «ايها الشاب ! عليك الآن ان تتمم منهاجك الدراسي». وعساك تلاحظ انه لم يقدر حتى ان يبدأ بالعمل الا بعد تسجيل اسمه كطالب، ومن الآن وخلال أربع سنوات او اكثر سوف يتمم منهاجه الدراسي. وانت يا عزيزي، عليك ان تبدأ كذلك ؛ يجب ان تُقبل أولاً قبل ان تبدأ في العمل. انت تتمم ما يعمله الله فيك، ولكنك لن تعمل ابداً لاجل استحقاق عطية الله .

الانسان لا يقدر ان يفعل شيئاً

وماذا ترى يقدر الانسان ان يفعله لكي يخلص نفسه؟ — لا شيء. في جميع ديانات الارض تُضحّى حيوانات وتُذبح، واما في المسيحية فالذبيح هو يسوع المسيح ابن الله الوحيد . وبالتالي ، جميع ديانات الارض ترتكز على الاستحقاق، واما المسيحية فعلى النعمة. ان الرعاة المزيّفين — وهم ذئاب في ثوب حملان — قالوا لاولادنا الجنود ان موتهم على أرض المعركة يجعلهم مستحقين للحياة الابدية ، وان من يبذل حياته من اجل وطنه سيذهب الى السماء . شكراً لله ، لان رجالنا عرفوا افضل واحسن من ذلك، عرفوا انهم غير مستحقين ان يلاقوا الله القدوس .

اسمع ايها الانسان ! ان كل دماء جميع الناس في جميع المعارك في

كل تاريخ العالم لن تكفي لتطهير خطية واحدة . اما دم المسيح — الاله الانسان — ذاك الدم المسفوك على صليب الجلجثة منذ اكثر من ١٩٠٠ سنة خلت ، مرة والى الابد ، فهو كافٍ ليطهّر جميع خطايا جميع الناس في جميع العصور. الانسان لا يقدر ان يفعل شيئاً به يستحق الحياة الابدية . منذ الفي سنة تقريباً صرخ الرب يسوع قائلاً : «قد أُكمل» (يو ١٩ : ٣٠) . وماذا عسى ان يضيف الانسان الى عمل كامل ؟

ولو ان الاخلاق والآداب، أو بر الناس يكفي، لما كانت ضرورة لموت المسيح، «لانه ان كان بالناموس برٌ فالمسيح اذاً مات بلا سبب» (غل ٢:٢١) . ولو كان في سلطان الانسان ان يخلص نفسه ، لكان موت المسيح أفظع عمل وحشي في تاريخ البشر! ولكن الله بذل ابنه لانه عارف بان لا حول ولا قوة للانسان وبأنه في حاجة الى مخلص.

عزيزي ! ان الآداب والاخلاق لن تخلص انساناً ، وبالتالي لن تخلصك .

الفريسي والعشار

«انسانان صعدا الى الهيكل ليصليا واحد فريسي والآخر عشار. أما الفريسي فوقف يصلي في نفسه هكذا : اللهم ، انا أشكرك اني لست مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة ولا مثل هذا العشار . أصوم مرتين في الاسبوع واعشّر كل ما أقتنيه . واما العشار فوقف من بعيد لا يشاء ان يرفع عينيه نحو السماء. بل قرع على صدره قائلاً:

«اللهم ارحمني انا الخاطىء» (لو ١٨:٩ – ١٤) .

نلاحظ ان الفريسي عوّل على كلمة «انا»، «انا أصوم، انا اعشّر، انا لست،أنا أفعل»– هذه هي الديانة وهذا هو البر الذاتي الذي بلغ مداه. واذا ما سألت الناس اليوم عن اساس خلاصهم، يجيبك الالوف منهم قائلين : «انا اذهب الى الكنيسة ، انا اعشّر ما اقتني ، انا اعلّم في مدرسة الاحد،انا تعمدت،انا عضو عامل في الكنيسة الخ». كل شيء يدور حول كلمة « انا» «أنا » «انا» ، ولا ذكر للمسيح فيها أبداً . لا ما عمله «المسيح»، بل ما أفعله «أنا» !..

ما ابعد الفرق بين هذا وبين ما قاله الرسول بولس عن نفسه انه «اول الخطاة» . «لا انا ، بل المسيح». هيا بنا نأخذ مكاننا الحقيقي كخطاة ؛ وليكن افتخارنا بما فعله المسيح متذكرين ان كل برّنا ان هو الا كثوب عدّة وان يسوع «دفع الكل» عنا .

لا عمل يستحق الخلاص

قد تكون احد انشط اعضاء الكنيسة ، ومع ذلك لا تخلص ، لان النشاط في الكنيسة لن يخلص احداً . فلا التعليم ولا العقائد ، ولا الصلوات،ولا انكار النفس ولا العشور او الدموع او التوبة – مع كونها حسنة – تقدر ان تخلصك. لا انسان – كاهناً او قسيساً–يقدر ان يفعل ذلك . «ليس بأحد غيره الخلاص. لان ليس اسم آخر تحت السماء قد اعطي بين الناس به ينبغي ان نخلص» (اع ٤:١٢). المسيح وحده ، يقدر ان يخلّص .

لا عمل – ادبياً كان او دينياً – يقدر ان يستحق ، بأية درجة، نوال خلاص الله. فان احسن حياة يحياها الانسان، مع احسن نشاط يبذله في خدمة كنيسته، لن تقربه خطوة واحدة نحو الله.فالاخلاق، واعمال البر والرحمة والاحسان ، والتضحيات لاجل الآخرين – مع سموها وجمالها – لا تستطيع ان تستحق الخلاص، ولا ان تنال رضى الله. فعلينا اذاً ان نبدأ بداءة صحيحة لان الخلاص «ليس من اعمال كيلا يفتخر احد» (اف ٢:٩) .

عزيزي القارىء ، ان كنت تتكل على ذاتك وعلى ما تعمله ، فانك هالك .

التدبير الالهي للخلاص

ان تدبير البشر للخلاص مبني دائماً على الاستحقاق ، اما تدبير الله فمبني على النعمة . يقول الله: «بالنعمة انتم مخلّصون» (اف٢:٨). والنعمة هي ضد الاستحقاق، فالواحدة تنفي الاخرى.ان كان الخلاص بالنعمة ، فلا يمكن ان يكون بالاستحقاق ؛ وان كان بالاستحقاق فلا يمكن ان يكون بالنعمة . فإما ان يكون كلياً بالنعمة ، او كلياً بالاستحقاق .

النعمة كلمة من اعظم الكلمات في الكتاب المقدس «فانجيل نعمة الله» هو الاخبار السارة التي ننادي بها . ومن اعظم العبارات التي جاءت عن خلاص الله ، ما جاء في رومية ٣ : ٢٤ «متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح».كل كلمة في هذه الآية غنية بالمعاني.

ولنأخذ مثلاً كلمة «الفداء» التي تعني: «ان يعيد شراءه». فالبشرية كانت قد بيعت للشيطان وللخطية وللموت، باعها آدم الاول؛ ولما جاء يسوع المسيح دفع الفدية بانه حمل الخطية وقصاصها وصنع الفداء اي اشترانا ثانية من سوق عبيد الشيطان.

واما الثمن الذي دفعه فهو دمه الثمين «عالمين انكم افتُديتم لا باشياء تفنى بفضة او ذهب ... بل بدم كريم كما من حَمَل بلا عيب ولا دنس دم المسيح» (١ بط ١ : ١٨ – ١٩). الآن وقد دُفع ثمن الفداء كاملاً فان الله قادر ان يبرر «مجاناً».

وردت في بشارة يوحنا ١٥:٢٥ نفس الكلمة اليونانية التي ترجمت هنا «مجاناً»... هكذا: «بلا سبب» – «انهم ابغضوني بلا سبب» اي بدون اي اساس أو سند لكراهتهم لي. وبهذه الطريقة يبرر الله الانسان الخاطىء، يبرره بدون سبب، مجاناً. ليس فينا شيء صالح به نستحق رضاه، لكنه يبررنا تماماً على اساس عمل يسوع المسيح الفدائي.

اذاً فالنعمة «منة وفضل بدون استحقاق». والخلاص هو بالنعمة، يُمنح مجاناً للذين لا يستحقونه، وكله من الله. لا يقدر الانسان ان يعمل شيئاً ما به يستحقه او يكتسبه.

هناك طريقتان لارضاء الناموس، اولاهما ان تحفظه والثانية هي ان تتحمل القصاص اذا كسرته، وقصاصه الموت «لان اجرة الخطية هي موت» (رو ٦:٢٣) «والنفس التي تخطىء هي تموت» (حز ١٨:٤). فالناموس يحمل معه قصاصاً، ولذلك لا يقدر الناموس الا ان يجلب الغضب والقصاص على كل من يكسره.

ولكن الله اراد خلاص الخاطىء واراد ايضاً ان يعامل الخاطىء بحسب عدله الالهي «ليكون باراً ويبرر من هو من الايمان بيسوع» (رو ٣ : ٢٦) ولذلك اعطى المسيح لكي يكون «الكفارة» عن خطية الانسان «الذي قدمه الله كفارة بالايمان بدمه لاظهار بره» (رو ٣: ٢٥) «وهو (أي يسوع) كفارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً» (١ يو ٢:٢). واذ حمل يسوع اجرة الخطية التي هي الموت جعل من الممكن ان يعامل الله الانسان في النعمة.

الفكرة السائدة عن التوبة

من الصعب ان تقنع الناس بان ما يتوجب عليهم هو ان يثقوا بالله ويؤمنوا بما تقوله كلمته. عجبي بهم كيف يصرون على أن «يفعلوا» شيئاً لكي يكسبوا رضاه! خذ مثلاً الفكرة السائدة عن التوبة. أليست راسخة في طبيعة الانسان هذه الفكرة ان الله يطلب منه صرف وقت طويل في انسحاق القلب والحزن والتوبة والندامة وصرف ساعات في التقشف والتذلل، والاعتراف بخطاياه والصلاة طالباً الغفران والخلاص قبل ان ينال الرحمة؟ وهذا ما يسميه الناس «التوبة عن الخطايا».

قد يتبكّت ضمير الانسان بهذه «الاعمال»، ولكن التبكيت ليس التوبة، ولا هو التجديد. ويتضح من كلمة الله ان مثل هذا الاختبار ليس بشكل ما اساساً للخلاص. فلم يذكر الكتاب المقدس بتاتاً ان على الانسان غير المتجدد أن يجوز في فترة مما يسمونه التوبة أو الندامة

(التي هي ليست توبة) على أمل ان يحصل اذا ما «تاب عن خطاياه» مدة كافية ، على غفران خطاياه .

ليست الدموع ولا التوبة ولا الصلوات تكفّر عن خطاياك يا نفسي ، وانما الكفّارة دم الحمل !

ولنفرض انك ندمت على خطاياك ، وصليت طالباً الغفران والخلاص ، واعترفت بتعدياتك وآثامك أمام الله ، وتوسلت بدون انقطاع سائلاً الرحمة والعفو ، فهل هذا يخلصك ؟ هل تستطيع بمثل هذه الاعمال ان تستحق رضى الله ونعمته ؟ كلا ، وانت تعلم جيداً انك لا تستطيع .

ولا بد انه في أثناء ذلك تأتيك لحظة تتحول فيها عن كل شيء من «صنعك» أو «فعلك» — الدموع والصلوات والاعتراف والتوبة — وتلقي مرساة اتكالك على المسيح وحده ، وتقبله ، وتعتمد على دمه المسفوك ، وتثق ثقة كاملة بالعمل الذي أُكمل فوق الجلجثة مؤمناً بان يسوع قد وفّى كل الدين .

هل الله متمنّع عن خلاصنا فنحتاج الى استرضائه ؟

ليست «أعمالنا» عاجزة كلياً عن استرضاء الله فحسب بل هي اهانة بحق الله اذ تفترض انه متمنّع عن خلاصنا مصرٌ على ان نتوسل اليه لكي يعطينا ذلك. مثل هذا الموقف يضع الله في موقفٍ خاطىء تماماً.

كنا يوماً نوزع بعض النشرات والنبذ ، ونشدد على الناس ان يأخذوها. ولكن، لنفرض ان شخصاً سعى وراءنا زاحفاً على رجليه وركبتيه متوسلاً الينا ان نعطيه نبذة. فماذا يقول الناس عنا؟ يقولون:

انظروا الى هؤلاء الناس المحتقرين ! ان هذا الرجل المسكين يتوسل اليهم لكي يأخذ نبذة ولكنهم اداروا له القفا ومضوا! وفي الواقع لم يكن هذا موقفنا بتاتاً ، بل كانت بهجة قلوبنا ان نوزع النبذ . وكل ما كان يُطلب من ذلك الرجل ان يقوم ويأخذ واحدة .

ان الله لم يحوّل وجهه عن الناس . فليس البشر في حاجة أن يتضرعوا ويتوسلوا اليه لكي يخلصهم . ان الله يريد خلاصهم ، ومن اجل ذلك بذل ابنه ، وها هو يقف ووجهه نحو الجنس الساقط ، متطلعاً اليهم في حب ورحمة صارخاً : تعالوا ، خذوا ، اتكلوا ، اقبلوا . وعندما يصلي الانسان ويستعطف في الوقت الذي فيه ينبغي ان يقبل ويشكر ، فان مثل هذا العمل يضع الله في موقف الممتنع الذي لا يريد والذي يجب أن يُسترضى ، بينما الجحود وناكر الفضل والممتنع هو الانسان .

يقدّم الله عطية ، عطية الحياة الابدية ، ويطلب الى الناس ان يقبلوها . وهل يتوسل الناس طالبين هدية عيد الميلاد وهي تقدّم اليهم ؟ لن يحدث ذلك لو عرفوا المعطي ولن يسيئوا الى اخلاصه بالتوسل الى ما سبق وقدم اليهم، بل يأخذون الهدية قائلين: شكراً. فلنغيّر فكرنا عن موقف الله ، ونقبل عطيته ، ونشكره .

نعم ان الامر غاية في البساطة والسهولة : تأخذ بالايمان ، وروح الله القدوس يفعل الباقي . ان موت المسيح هو أساس الخلاص ، والايمان هو الحلقة التي تربط بين الخاطىء والمسيح . «آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص» (اع ١٦ : ٣١) .

صحيح انك اخطأت ، وانك مجرم . ولكن الله قد أعـدّ لك علاجاً . وانني أعلن لـك اليوم بفرح لا ينطق به ان « المسيح مات من اجل خطايانا» (١ كو ١٥:٣) .

يا للرسالة المجيدة ! يا للبشرى العجيبة ! هلا تصدق الاخبار السارة وتؤمن بها ؟ هلا تقبل العلاج ؟ فتعال ، اذاً ، خذ مكانك كخاطىء مجرم هالك . آمن بكلمة الله القائلة « لا فرق اذ الجميع أخطأوا» . هلا تقرّ معترفاً أمام الله بانك خاطىء مجرم ! هلا تلقي بنفسك بين أذرع رحمة الله ! افعل ذلك ! افعله الآن .

٦

الباطل والحق

يفعل الناس أشياء كثيرة جداً في سبيل الوصول الى السماء . وما اكثر الاسس الباطلة من كل جانب ! في اي شيء نضع رجاءنا ؟ لماذا نتوقع أن يسمح لنا الله بالدخول الى السماء؟ما هو الأساس الذي نستند عليه في موقفنا هذا ؟ هذه هي الأسئـلة التي ينبغي الاجابـة عنها ، وهي على جانب كبير من الاهمية . فلنتكلم أولاً عن الاسس الباطلة ثم عن الاساس الحق .

الباطل

١ – الديانة المسيحية

ان أول أساس باطل ارغب في ذكره هو الديانة المسيحية . وما هي الديانة ؟ انها شيء يفعله الانسان . وعندمـا نتحدث عن « رجل متدين» نقصد شخصـاً تعمد ، ويذهب الى الكنيسة ، ويشترك في

العشاء الرباني ، ويعشّر أمواله وهكذا ... هذا ما نسميه «رجل الكنيسة» أو «الرجل المتدين» .

وردت كلمة «الدين» ومشتقاتها خمس مرات في العهد الجديد . والجدير بالذكر انها لم ترد قط مرادفة للخلاص او الروحانية. فما نسميه «بالديانة المسيحية» ليس لها – بدون المسيح – من القوة للخلاص اكثر مما للبوذية، أو سواها . ومع ذلك فان الملايين من الناس – مهما كانت تسميتهم المذهبية أو الطائفية – يضعون ثقتهم بالحصول على الخلاص في «الديانة المسيحية» !

وهل تعلم ان بالامكان ان تتغير دون أن تتجدد ؟ وبالحق أقول وأعتقد ان عشرات الالوف ممن تغيروا لن يدخلوا السماء ، لأنهم لم يولدوا ولادة ثانية من فوق . لقد تغيروا من بعض اشكال الخطية ، تغيروا من شكوكهم وريبتهم وشذوذهم ، أو تغيروا من مذهب الى مذهب آخر – ولكن ليس لله – تغيروا للكنيسة والى المسئولية لكنهم لم يولدوا من فوق ، لم يتجددوا . واذكروا هذا : « ان كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر ان يرى ملكوت السموات» (يو٣:٣).

تحدثنا القائدة الهندية الشهيرة ، بونديتا راماباي ، عن نفسها هذا الحديث العجيب ،فتقول انها تغيرت من الهندوسية وأنظمة باطلة اخرى دينية الى المسيحية ، وتعمدت وانضمت الى الكنيسة وعاشت ثماني سنوات عيشة ممتازة .

لكن بونديتا راماباي لم تكن مسيحية ، وتعترف انها لم تكن اختبرت بعدُ في حياتها الولادة الثانية ولم تكن تعرف بعد يسوع المسيح كمخلص لها . قبلت المسيحية لكنها لم تقبل مسيح المسيحية .

ولكن جاءت ساعة في حياتها أحست فيها لاول مرة انها خاطئة هالكة وتحتاج الى مخلص ، وهنا حدث التغير العظيم بل التغيّر الجذري ... فمنذ تلك الساعة اضحت الحياة في نظرها مختلفة عما كانت، وعرفت فعلاً مسيح المسيحية وولدت ولادة ثانية ، ولم تتغير فحسب ، بل تجددت بالروح القدس . وهاكم شهادتها في كلماتها :

«كنت أتخيل ان التوبة عن الخطية، والعزم على إبطالها والابتعاد عنها ، هي كل ما يلزم لنوال الغفران ، وان فريضة المعمودية هي الوسيلة للتجديد ، وان خطاياي قد تطهر فعلاً اذا ما اعتمدت باسم المسيح. ان هذه وامثالها من الاعتقادات الشبيهة بالطقوس الهندوسية قد لصقت بي واستولت على عقلي وتفكيري . وقد علمت بعد مضي ثماني سنوات من وقت معموديتي بانني وجدت الدين المسيحي ، ولكن لا المسيح الذي هو حياة الدين. كنت في حاجة الى المسيح، وليس فقط الى دينه» .

ايها العزيز ، وماذا عن نفسك ؟ هل تغيرت دون ان تتجدد ؟ هل تعرف مسيح المسيحية مخلصاً شخصياً لك ؟ ان لم تكن قد عرفته ، فحذار ! لن تدخل السماء الم تولد من فوق .

٢ – العضوية في الكنيسة

ان الاساس الباطل الثاني هو الانضمام لعضوية الكنيسة ، وهل تعلم انك لا تستطيع ان تنضم الى الكنيسة؟واليك الايضاح لما اقوله.. لنفرض انك انضممت الى العائلة المالكة، فهل تظن ان هذا سوف

يجعل الدم الملكي يسري في عروقك ؟ كلا . وليس الا طريقة واحدة بها يمكن ان يتم ذلك وهو أن تولد في العائلة المالكة . وهكذا هو الحال مع الكنيسة . ولست الآن في صدد التفكير باي طائفة من مختلف الطوائف المسيحية ، بل بالحري بصدد الكنيسة ، الكنيسة الوحيدة الحقيقية ، كنيسة الله غير المنظورة ، جسد المسيح .

وقد وضع الله الكنيسة كعائلة كبيرة – عائلة الله. ولا يستطيع احد ان ينضم الى هذه العائلة ما لم يولد ثانية من فوق . ولا يقدر أحد ان يجعل حياة الله تختلج في قلبه بمجرد انضمامه الى الكنيسة اكثر مما يقدر ان يجعل الدم الملوكي يفيض في عروقه بدون ان يولد في العائلة .

يا عزيزي ، هل ولدت في عائلة الله ؟ هل أنت عضو في الكنيسة الحقيقية ؟ هل ولدت ثانية من فوق ؟ أم هل سمحت ان يوضع اسمك في سجل كنيسة ما ؟ اعلم ان الانضمام لعضوية الكنيسة لن يقدر ان يخلصك؟ لا يوجد لكنيسة في الوجود سلطان ان تخلص؟ ان المسيح نفسه ، لا سواه ، هو الذي يفعل ذلك ، لأنه «ان كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر ان يرى ملكوت السموات» (يو ٣:٣) .

تذكر يا أخي ، انه لا يوجد في السماء انجيليون او لوثريون او معمدانيون ، أو موارنة أو لاتين الخ. ليس في السماء طوائف . ولا يدخل السماء سوى الذين اغتسلوا بالدم . فالسؤال ، اذاً ، ليس «هل أنا عضو في الكنيسة؟» بل: «هل أنا للرب يسوع؟ هل اسمي مكتوب في سفر حياة الحمل ؟ هل أنا خاطىء خلصت بالنعمة ؟»

٣ – التقشف

وهذا أساس آخر في سلسلة الاسس الباطلة. ان البشر اذ يدركون بعض الشيء عن عبء الخطية الثقيل يعقدون النية على أن يدخلوا حياة انكار النفس والاعمال التقشفية بغية الحصول على الخلاص .

والنظرية هي انه من المحال أن يخلص أحد في هذا العالم بسبب التجارب الكثيرة التي تتعرض لها البشرية . ولذلك ينسحب البعض من العالم ويعتزلون في كهف أو دير مجشمين انفسهم صنوف العذاب الجسماني رغبة منهم في نوال الخلاص . يعكفون ليل نهار على اعمال التوبة ، والبكاء بمرارة وحرقة ، وتعذيب أنفسهم شر عذاب ، نابذين العالم وما فيه ، مصلين صائمين على الدوام . ولكنهم رغم هذه الجهود ، ظلوا غير مكتفين ، يرتجفون من الموت ، وفي كثير من الاحيان ، يتوقون للعودة الى العالم. وفي النهاية يتحقق هؤلاء ابطال التقشف ان خلاص النفس بالنفس وبالجهد الشخصي امر مستحيل .

ويذكر الكتاب المقدس بصراحة وتأكيد ان المسيح مات لاجل خطايانا وانه أعد لنا خلاصاً كاملاً تاماً. ويؤكد ان اعمالنا لن تستطيع ان تخلصنا . ويكتب الرسول بولس الى الذين رغبوا عن طريق اعمالهم الصالحة في تكميل انفسهم قائلاً : « فلماذا كأنكم عائشون في العالم تفرض عليكم فرائض ، لا تمس ولا تذق ، ولا تجسّ التي هي جميعها للفناء في الاستعمال حسب وصايا وتعاليم الناس » (كو ٢:٢٠ – ٢٣) .

٤ – المعمودية

هناك اساس باطل رابع هو المعمودية . انا اؤمن بكل قلبي في المعمودية بالماء ، ولكني لا اؤمن بان المعمودية ضرورية للخلاص.

ان كان هذا هو موقفك، فتكون قد نسيت ما قاله بولس: «لان المسيح لم يرسلني لاعمد بل لابشر» (١ كو ١ : ١٧) . وهل تظن ان بولس يقف في منتصف الطريق ويترك عمله غير منجز لو كانت المعمودية ضرورية للخلاص ؟ ولنفرض ان متجدداً مات قبل ان يعمده أحد ، فماذا يحدث ؟

هل تذكر اللص فوق الصليب ؟ انه لم يكن معمّداً . وان قلتَ ان هذا الحادث استثنائي اجبتك: فهو كافٍ لاثبات ما سبقت وقلتُ.

قد تقول ، ان الاجابة في قانون الايمان عن السؤال القائل : «من أعطاك هذا الاسم ؟» هي : « ان الذي اعطاني هذا الاسم هو عرّابي (اشبيني) في المعمودية ، حينما صرت عضواً في الكنيسة ، وابناً لله ، ووارثاً لملكوت السموات » . ولكن هل تعلم انك تقتبس من اقوال البشر المعرضة للخطأ وليس من كلمة الله؟ انه باطل تماماً، فقد تتعمد، وتتثبت في الكنيسة ، وتظل ابناً للشيطان ؛ وذلك لان الفرائض والطقوس لا دخل لها اطلاقاً بالخلاص . يقول الكتاب : « من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن» (مر ١٦ : ١٦) . ان اهم شيء هو ان تؤمن بالانجيل ، فالمعمودية لا تعني شيئاً اذا فصلتها عن الايمان . ولنلاحظ ان يسوع لم يقل : « من لم يعتمد يهلك» بل قال : « الذي لا يؤمن» فالايمان ضرورة حاتمة للخلاص، ولكن لم يرد ذكر في مكان

آخر في الكتاب يبين ان المعمودية ضرورية (١ كو ١ : ١٧، اع ٢٠ : ٢١). فالمعمودية لا تسبق الايمان . وان سبقته فهي اذاً معمودية انسانٍ غير مؤمن .

«ان كان أحد لا يولد من الماء والروح» (يو ٣ : ٥). الماء هنا – كما في كل مكان آخر – عندما يستعمل للولادة الروحية يعني «كلمة الله» (أف ٥ : ٢٦؛ ١ بط ١ : ٢٣) .

وردت في كلمة الله حادثة واحدة التي تقرر حتى مشكلة المعمودية وعلاقتها بالخلاص ، وأعني بها تجديد كرنيليوس وأهل بيته (اع ١٠، ١١ : ١٤ – ١٧) . لقد حل الروح القدس عليهم ، وتكلموا بألسنة ، وآمنوا ، وأعطاهم التوبة للحياة ، وحصلوا على الخلاص ، كما يقول الكتاب . ومع ذلك فانهم تعمدوا بعد كل هذه الامور .

ولنفرض انك بعد المعمودية تستمر في خطيتك ، فهل تعتقد انك ما زلت مخلّصاً! ألا ينقذك الخلاص ويغيّرك ويجعلك خليقة جديدة؟ «تدعو اسمه يسوع لأنه يخلّص شعبه من خطاياهم» (مت ١ : ٢١) . واذا لم تخلص من خطاياك فلن تخلص أبداً . وهل للمعمودية أن تفعل ذلك ؟

وأخيراً – هاكم هذه الحجة التي لا رد لها – وهي ان جعل المعمودية شرطاً للخلاص يتعارض مع تعليم الرسول بولس بشأن نعمة الله . فالعهد الجديد يحدثنا مرة تلو المرة ان الايمان هو الشرط الوحيد للخلاص . ولا يمكن ان مثل هذه الدلائل القاطعة تطرح جانباً . ان الوفاً من الناس اختبروا الولادة الجديدة بواسطة قراءة الكتاب

المقدس*. فماذا نقول نحن عندما يشهد روح الله لأرواحنا بأننا مولودون من الله ، حتى اذا كنا لم نعتمد ؟

فإما ان الخلاص هو بالاعمال أو بالنعمة ، ولكن لا يمكن ان يكون بكليهما . وقد أوضح بولس ذلك، بصورة خاصة، في رسالته الى رومية والى غلاطية . وكتب مبرهناً ان الخلاص بالنعمة « ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد» (اف ٢ : ٩) . اذاً ، فهما عمل الانسان — من حفظ الناموس، أو قبوله المعمودية أو التثبيت، او اشتراكه في عشاء الرب ، او أي شيء آخر — فان هذه كلها أعمال . اجل هذا عمل ! عمل ! عمل !

ايها الانسان ! لقد عمل يسوع كل شيء فوق الجلجثة ! كف عن عملك وآمن فقط .

٥ — الشفاعة والوساطة

وهذا اساس باطل آخر. واعني بالشفاعة والوساطة عبادة القديسين الذين يؤمن كثيرون بوساطتهم لدى يسوع المسيح. وها كم وجهة نظر هؤلاء الناس . يقول الواحد منهم في نفسه : « انني خاطىء كبير ، وبالتالي لا استطيع ان اخلص نفسي، ولكن عندي وسطاء في السماء يمكنهم باستحقاقهم وشفاعتهم فيّ أن يفتحوا لي ابواب الملكوت .

---

* (طالع : يو ١ : ١٢ ؛ ٣ : ١٤ — ١٨ ، ٣٦ ؛ ٥ : ٢٤ ؛ ٦ : ٤٧ ؛ أع ١٠ : ٤٣ ؛ ١٣ : ٣٩ ؛ ١٦ : ٣١ ؛ رو ١ : ١٦ ؛ ٣ : ١٩ — ٢٦ ؛ ٤ : ٥ ؛ غل ٢ : ١٦ ؛ أف ٢ : ٨ — ٩ ؛ في ٣ : ٩) .

هؤلاء القديسون يصلّون من اجلي ، وصلاتهم ستؤثر على المسيح» — وهكذا ، فان عدداً لا يستهان به من الخطاة الذين ليست لهم ارادة في ترك خطاياهم ، يتكلون على وساطة القديسين لدى الله !

ولكن لا يقدر القديسون ان يفعلوا شيئاً للانسان الخاطىء. فان الخلاص لم يكمله القديسون بل اكمله المسيح ، وبه وحده دون سواه لنا دخول الى الله «لان ليس اسم آخر تحت السماء قد اعطي بين الناس به ينبغي ان نخلص» (اع ٤ : ١٢) «لأنه يوجد اله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الانسان يسوع المسيح» (١ تي ٢ : ٥) . لاحظ القول : «وسيط واحد» ، وهذا الوسيط الواحد هو الرب يسوع المسيح نفسه .

لنفرض ان محامياً شهيراً اخذ على عاتقه الدفاع عن قضيتك ، فهل تلجأ الى غيره ممن هم أقل منه في مؤهلاته ؟ ان محامينا السماوي وسيطنا الواحد — كما توضح الكتب المقدسة — هو الرب يسوع المسيح. وان كانت فيه الكفاية — والكتاب يؤكد ان فيه الكفاية — فلماذا نذهب الى آخرين ؟

ايها العزيز ! لا تخف ان تذهب اليه بخطاياك. انه يقبل كل واحد لأنه محب للعشارين والخطاة . ولكن ان بقيت مصرّاً على ان تذهب الى غيره ، غير راغب في ترك خطاياك ، فلن ينفعك شيء ، لانه ما من احد غيره يقدر ان ينفعك شيئاً .

٦ — حفظ الوصايا

ما اكثر الذين يرجون ، بحفظهم الوصايا ، الحصول على الخلاص !

فهل هذا رجاؤك ؟ ولنفرض انك نجحت في حفظها جميعاً ، فلن تصل لسوى نتيجة سلبية، فان الخلاص لا يتضمن عدداً من السلبيات... لا ... لا ... فالمسألة ليست «لا تعمل» او «اعمل» ولكن «ما عُمل» «وأُكمل» . ليس ما «تعمله» انت بل ما «عمله» المسيح . ليس المهم ما تعمله انت ، بل ما عمله هو .

هاكم انساناً لم يبق له من حياته الا بضع دقائق ، يصرخ قائلاً : ماذا ينبغي ان افعل لكي اخلص ؟ ان قلت له : احفظ الوصايا اجابك: ليس عندي وقت لحفظ الوصايا. انا اوشك على الموت. نعم... لا يوجد وقت ، للانسان المائت ، حتى للبدء في حفظ الوصايا . واذا كان حفظ الناموس هو رجاء الانسان الوحيد للخلاص ، فانه مدان، لان يسوع بصراحة وتأكيد يقول : «ليس احد منكم يعمل الناموس» (يو ٧:١٩). واذا كنت تفتكر انك تعمل الناموس فاقرأ بتأمل مت ٤:٢٧، ٢٨، ٢٢:٣٤ — ٤٠

ولكن لنفرض انك تحفظ الوصايا ، فان هذا لن يعطي الحياة — الحياة الابدية . انا لا انطق باسم الله باطلاً ، انا لا اقتل ، ولا اسرق، ولا ازني ، بل احفظ الوصايا جميعها . ومع ذلك اتجاهل يسوع المسيح وموته الكفاري . ان الله لا يعد بالحياة الابدية بمجرد انني امتنع عن فعل بعض الاشياء . كلا ، ايها العزيز ، ان حفظ الوصايا لن يعطيك ابداً الحياة . انتبه الى كلمة الله القائلة : «لانه لو اعطي ناموس قادر ان يحيي لكان بالحقيقة البر بالناموس» غل ٣:٢١ .

٧ — الصلاة من اجل الموتى

وهذا ايضاً اساس باطل . رُبّ قائل يقول : اذا كنت لا انال الخلاص في هذه الحياة ، فلي رجاء بعدُ ان احصل على الخلاص بعد موتي . وهذا هو اعتقاد الكثيرين من المسيحيين اعضاء الكنائس اليوم . وان سألتهم: كيف تتوقعون ان تخلصوا بعد الموت؟ اجابوك: ان الكنيسة سوف تقيم الصلوات لراحة نفوسنا !

ان مثل هذا الاساس للخلاص لهو ضد كل ذوق سليم وضد كل عدالة لانه استناداً اليه ينغمس الخاطىء في الاثم مستبيحاً ، بزعم ان الكنيسة، بعد موته، سوف تصلي من اجله... عندما تاق الغني الذي كان في الهاوية الى تخفيف عذابه ، قيل له ان بينه وبين لعازر هوة عظيمة قد اثبتت حتى ان الذين يريدون العبور لا يقدرون. فلا هو ولا لعازر يقدران على العبور . ومن ثم كان الهروب مستحيلا (لو ١٦:٢٦) . ولم تقدر اية كنيسة ان تنقله من عذابه .

ان الله يقبل كل خاطىء تائب اليه توبة نصوحاً ويبرره على اساس الايمان فقط بالدم الذي سفكه الرب يسوع المسيح ، واهباً اياه هبة الحياة الابدية . خير للانسان ، اذاً ، بدل ان يستمر في خطاياه في هذا العالم على رجاء ان بعضهم سيصلّون من اجله بعد الموت لكي يخرجوه من المطهر ، نقول : خير لمثل هذا الانسان ان يتوب الآن ويقبل يسوع المسيح مخلصاً وهو على قيد الحياة . « هوذا الآن وقت مقبول هوذا الآن يوم خلاص» (٢ كو ٦:٢) .

٨ – أبذل أقصى جهدي

لعل اساسك الباطل هو بذل اقصى جهدك . ولكن دعني اسألك هذا السؤال : هل مر عليك وقت فشلت فيه مرة ان تبذل اقصى جهدك ؟ لا اخالك تنكر انه مرت عليك اوقات كان يمكن ان تفعل احسن مما فعلت. فاذا كان بذل اقصى جهدك هو الاساس الذي عليه يرتكز خلاصك، فانت هالك لا محالة لانك تعلم علم اليقين انه ما من انسان عاش في المستوى الذي اراده وبذل اقصى جهده في كل ناحية. فبئس الاساس الذي عليه تقف وترتكز وينهار تحت قدميك !

٩ – اصلاح الذات

وهذا هو آخر اساس باطل . يتحدث الناس عن «قلب صفحة جديدة» الامر الذي هو خطأ في خطأ . وهاك مثلاً على ذلك: تلميذ مدرسة يسقط على دفتره حبر. وفي الحال يقلب التلميذ صفحة جديدة نظيفة ناصعة. ويأتي المعلم ليطلع على دفتره وعمله فيرى الورقة النظيفة غاية في الجمال . ولكن رغبة منه في ان يقف على اعمال الطالب السابقة، يقلب الصفحات. فماذا يرى؟ لطخة الحبر السوداء ! عزيزي، ما اجمل ان تقلب صفحة جديدة! ولكن ماذا عن الصفحات القديمة؟

رُبّ معترض يقول: ماذا في سجلاتك؟ اليس في حياتك لطخات الخطية ؟ الا تخشى ان يقلب الله صفحاتك القديمة ؟ اجل ! عندي لوثات الخطية «لأن الجميع اخطأوا» ومع ذلك فلست بخائف. وقد

تسأل عن السبب . فدعني – على سبيل الجواب والايضاح – اروي لك شيئاً عن مارتن لوثر .

يروى ان الشيطان جاء مرة الى لوثر، جاء وبين يديه درج كبير، مكتوب على كلا الجانبين .

فسأله لوثر : ما هذا ؟

اجابه الشيطان : هذا هو سجل خطاياك !

فدنا لوثر من هذه الوثيقة ، واخذ يفحصها بالتدقيق ، واكتشف ان كلام الشيطان حقيقي . ففي الواقع ان الخطايا القديمة التي نسيها لوثر من زمن كانت مسجلة . واعترف لوثر انه مجرم. ثم قال: أهذه كل خطاياي ؟

فاجاب الشيطان : كلا . يوجد سفر آخر .

فقال لوثر : ائتني به

فذهب الشيطان وعاد بعد لحظات وبيده درج آخر شبيه بالاول وكان على لوثر ان يعترف مرة اخرى انه مجرم . ثم سأله لوثر : هل هذا كل شيء ؟

اجاب الشيطان : كلا ! يوجد ايضاً سفر ثالث !

فقال : اذهب ايضاً وأحضره .

وبعد قليل جاء الشيطان ومعه سفر الثالث . واخذ لوثر يتفرس فيه وينعم النظر بتدقيق. ثم قال: نعم هذه جميعها خطاياي، ارتكبتها واحدة واحدة . ولكن هل توجد لي خطايا اخرى ؟

فاجاب الشيطان : كلا ! هذه جميع خطاياك ولا يوجد غيرها .

وبكل هدوء تناول لوثر من فوق طاولته قلماً وغمسه في الحبر

الأحمر ، ثم تناول هذه الادراج الثلاثة واحداً واحداً ، وكتب عليها بانتصار وفوز ، هذه الكلمات « ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية» (١ يو ١:٧) .

فاندحر الشيطان واختفى في الحال وعلامات اليأس والغضب تملأ وجهه .

وهكذا ، يا صديقي ، أنا أخطأت ، وأنا اشارك لوثر قوله اني مجرم . ولكن شكراً لله ! فمنذ سنوات مضت قبلت يسوع المسيح مخلصاً لي، وقد طهر كل خطاياي، وفي استطاعتي الآن أيضاً ان اكتب على حياتي الحقيرة والمزدرى ، هذه الكلمات الرائعة : « ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية » ... لقد محيت خطاياي ، واحمد الله لأنها لن تذكر مرة اخرى. لان الله يراني في ابنه ، مستوراً برداء بر يسوع المسيح ، وكل خطاياي تحت الدم .

ان اصلاح الذات ليس التجديد أو الولادة الثانية . فقد يطلي الانسان مضخة المياه في قرية ما ، ويجعلها أجمل مضخّة في المنطقة. ولكن ان كان الينبوع رديئاً ، فلا يقدر اي تحسين خارجي أن يجعل الماء نقياً طاهراً ! ان العيب ، يا صاح ، هو في الداخل ! ينبغي رفع الغطاء والنزول الى اسفل البئر لاستئصال شأفة السم الذي أفسد الماء. وهكذا يجب أن يتعمق الانسان في داخل القلب حتى يصل الى مصدر قاذورات الخطية التي لن تؤثر فيها كل أنواع التحسينات الخارجية والتطهيرات الظاهرية لأن العيب في القلب !

ان الناموس والثقافة قد تعالجان الوانا وأشكالاً خاصة تظهر فيها الخطية ، مثل المسكر والسرقة والقتل وما أشبه، وهكذا تبدو هذه

الاشكال بالذات كأنها اختفت من الوجود ويظهر العالم ، كما هو الحال في المضخة القديمة المطلية ، كأنما قد تحسن . أما بشأن الخطية نفسها فلا يوجد الا دم يسوع، ولا يوجد أي علاج آخر ، لانه يجب تنظيف داخل الكأس والصحفة . فهيا الى اصل المرض ونطبق العلاج بالدم.

هل يخطر ببال أي جرّاح، وهو يعالج دُملة ، أن يغطيها بقطعة من القماش أو اللزقة حتى تبدو أجمل منظراً ؟ الا يعلم الجرّاح ان لا بد من المشرط يبتر به هذه الدملة أو يفتحها وينظفها حتى يضمن شفاءها . ويل للانسان الذي يتجاهل سرطان الخطية ، ويسعى عن طريق الترقيع والاصلاح والتحسين الخارجي، ان يجد علاجاً وشفاءً!

يوحنا بنيان

ومن أقوى الأمثلة عن اصلاح الذات اختبار يوحنا بنيان الذي نورد اعترافه كما جاء في كلماته :

«قرأت الكتاب المقدس وكنت أجد لذة عظيمة وانا أدرسه . ثم شرعت في اجراء بعض اصلاحات ظاهرية في حياتي وفي كلماتي . ووضعت نصب عيني الوصايا طريقاً تصل بي للسماء . وظننت انني بذلك ارضيت الله .

«استمرت الحال على هذا المنوال قرابة سنة . وكان الجيران خلال هذه المدة يعتبرونني رجلاً طيباً وتقياً ، رجلاً جديداً ومتديناً . وكم أعجبوا حين لاحظوا التغيُّر العظيم الهامّ في حياتي وفي تصرفاتي ، ولاحظوا البون الشاسع بين ما كنت عليه وما صرت اليه وفي الواقع

كان تغيُّر عظيم في حياتي وتصرفاتي ، ولكن لم اكن بعد اعرف المسيح ولا النعمة ولا الايمان ولا الرجاء. ولو فارقت الحياة اذ ذاك، لكانت حالتي أسوأ ما تكون !

«أعجب جيراني بهذا التغير العظيم فقد تغيرت من نجاسة شنيعة الى حياة ادبية طاهرة. ومن ثم أخذوا يمدحون فيَّ ويثنون علي ويتحدثون عني بزهو واعجاب ، في حضرتي وفي غيبتي . وكانوا يقولون عني انني صرت تقياً خائف الله !

« لقد سرّني كثيراً ان يتحدث النـاس عني بهذه الكلمات وان يفكروا فيّ هكذا ، ولو انني ما زلت مزدرى وغير موجود ، اشبه شيء بالمرائي المطـلي من الخـارج ! الا انني كنت أحب أن اسمعهم يتحدثون عني كرجل الله التقي وكنت أتفاخر واتباهى بطيبتي وتقواي. وحقيقة الامر اني فعلت ما فعلت لكي يراني النـاس ويتحدثوا عني حسناً ».

فنرى اذاً ان اصلاح يوحنا بنيان لذاتـه ولتصرفاته لم يخلصـه . ولا انت قادر – إن اصلحت ذاتـك وتصرفاتك – ان تخلص نفسك .

هذه بعض الاسس الباطلة التي يعوّل عليـه النـاس للحصول على الخلاص . فهل الاساس الذي تبني عليه خلاصك واحد منهـا ؟ هل انت واقف على الرمل ؟ ام هل تثق بيسوع المسيح ، صخر الدهور، لخلاص نفسك ؟ لا تدع احداً يخدعك ، فانما الخلاص بالمسيح ، وليس بأحد سواه . وكل ما عدا ذلك باطل . والطريق التي هي من ابتكار الانسان لا تجديه نفعاً .

الاساس الحقيقي

منذ أربعة آلاف سنة ، وبعد ظهر يوم مشهود ، سار في فلسطين مسافران بدا التعب والاعياء عليهما وهما يصعدان الى جبـل المريا ، ابراهيم واسحق ابنه .

واذا باسحق يسأل : هوذا النـار والحطب ولكن أين الخروف للمحرقة ؟

فأجاب الوالد الملهم بالروح قائلاً : الله يرى له الخروف للمحرقة يا ابني !

وها المذبح قد بني ، والحطب قد رُتب ، واسحق رُبط ووضع على المذبح فوق الحطب. واذا ابراهيم يمد يده ويأخذ السكين ليذبح ابنه ، فناداه ملاك الرب من السماء وقال : ابرهيم ابرهيم ! لا تمد يدك الى الغلام . فرفـع ابرهيم عينيـه ونظر واذا كبش وراءه ممسكاً في الغابـة بقرنيه . فذهب ابراهيم واخذ الكبش وأصعده محرقة عوضاً عن ابنه !

«عوضاً عن ابنه» ... وبعد هذه الحادثة بمئات السنين ، اعد الله الحمل، ابنه المحبوب الوحيد، ليموت عوضاً عن الانسان المجرم الخاطىء. ولكن لما عُلّق على الصليب لم يسمع صوتـاً من السماء ، اذ لم يكن غيره آخر يأخذ مكانه، وبذلك مات يسوع المسيح عوضاً عنك وعني!

هذا هو ، اذاً ، اساس الخـلاص . ان عمل المسيح هو الأساس الوحيد الحقيقي ، وكل أساس آخر هو اساس رملي واهٍ ! وبالتـالي الخلاص «ليس من أعمال»! لقد أكمل المسيح العمل على صليب الجلجثة منذ اكثر من ١٩٠٠ سنة .

١ – طبيعة عمله

ان الجلجثة تعلمنا ان المسيح قد مات بدلاً منا ، عوضاً عنا . وهذا هو التفسير البسيط لذبيحة الكبش التي قدمها ابراهيم عوضاً عن ابنه اسحق ... وهذا ما قصده الروح القدس عندما تكلم بالنبي القائل : «الرب وضع عليه اثم جميعنا» (اش ٥٣ : ٦) . فقد اخذ الله خطيتك واخذ خطيتي ووضعها على ابنه ، يسوع المسيح، الذي حملها ومات عوضاً عنا !

نذكر يوم الكفارة العظيم ، ذلك اليوم المشهود المنصوص عنه في الناموس الموسوي. في ذلك اليوم كان رئيس الكهنة يأخذ تيساً ويقربه في وسط الجماعة ، ويضع يده على رأس التيس الحي ويقر عليه بكل ذنوب الشعب ومن ثم يرسله بيد من يلاقيه الى البرية . فكما ان التيس الحي حمل خطايا الشعب ، هكذا حمل الله حمل خطايانا ، وحمل اثمنا، ولذلك كتب عنه بحق : « هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يو ١ : ٢٩) .

عندما اسدل الظلام ستاره فوق الجلجثة ، وفي اللحظة التي شقت فضاء الكون صيحةٌ موجعة من الرب يسوع المسيح لا يمكن ان تنسى وهو يصرخ قائلاً : «الهي الهي لماذا تركتني»، في تلك اللحظة بالذات وضع عليه ذلك الشيء القذر الذي يدعى الخطية ! نعم ، خطاياك وخطاياي وضعت عليه ، ويا له من اختبار مرير حتى ان الله الآب نفسه حوّل وجهه عن مسيحه ، واضطر يسوع وحده أن يحمل كل الألم وكل الخطية .

٢ – كفاية عمله

لما ان اقترب السيد المسيح من نهاية عمله الجبار أطلق صرخته التي رنت فوق الجلجثة: «قد أكمل» (يو ١٩ : ٣٠) . ويا لها من صرخة مليئة بالنصرة والمجد ! لقد اكمل العمل الخاص بفداء الانسان ، اكمل تماماً ونهائياً ، فلا حاجة الى شيء آخر . لقد تم الخلاص وأُعد .

ألم يظهر الله الآب رضاه الكامل ؟ نعم ، فقد قام يسوع بكل مطاليب الناموس «لانه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه» (٢كو٥:٢١). وهل يجد الانسان الله بمحاولته ان يضيف الى عمل مكمّل ؟ ليس في استطاعة الانسان ان يفعل شيئاً، وما عليه الا ان يقبل العمل الذي أكمل ويعتمد عليه كل الاعتماد.

٣ – الباعث لعمله

ما الذي حدا بيسوع ان يقوم بهذه التضحية العظمى سوى باعث المحبة ؟ «ولكن الله بيَّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لاجلنا » (رو ٥:٨) .

فهل كانت المحبة سبب الكفارة ! أم الكفارة سبب المحبة ؟ انها المحبة التي سببت الكفارة !ان قلب الله الملآن بالمحبة والحنان اللامحدودين انفطر شفقة على حالة الهلاك التي تردى اليها الانسان ،حتى انه، بمحض اختياره وطوعه ، بذل يسوع المسيح ، ابنه الوحيد ، لكي يموت عن البشر ! يا للمحبة العجيبة ! من يستطيع ان يسبر غورها ؟ المحبة

التي جعلت الله السرمدي القدير يبذل ابنه «لانه هكذا احب الله العالم حتى بذل ... »

ان الله يحب الخاطىء ولكنه يكره الخطية . فليست القضية ان الله يحبنا ونحن صالحون، ويكرهنا ونحن أردياء، كما يعلم بعض الوالدين أولادهم . انه يحبنا نفس المحبة وفي كل وقت ، ولكنه يمقت ويكره الخطية التي تفصلنا عنه ، مثله في ذلك مثل الأب الذي يحب ابنه وهو مريض بمرض الجدري ، وفي نفس الوقت يكره المرض الذي يفصل ابنه عنه !

انت لم تطلب من الله ان يحبك! وانما محبته قد مُنحت لك طوعاً واختياراً . ان الله هو الذي بادرك بالحب !

ان الله يحبك بصرف النظر عما أنت عليه أو عما فعلته . قد تكون أشر الخطاة على الأرض ، وأتعس الناس وأشقى الاشرار ، ولكن الله يحبك ! فكيف يمكنك ان تحتقر مثل هذه المحبة التي ليس بعدها محبة ؟

٤ – من اجل من مات المسيح ؟

مات المسيح عن جميع الناس: «من يُقبل اليّ لا اخرجه خارجاً» (يو ٦: ٣٧). ونراه مرة تلو المرة يستخدم التعبير «كل من» ليدل على عمومية عمله ومداه . وهذا التعبير «كل من» يعني انت .ويمكنك ان تستبدله حيثما ورد بوضع اسمك .

يا للرجاء! لقد شملت محبة يسوع جميع الناس دون استثناء احد:

شملت أشر الأشرار ، وأطيب الاخيار ، وأحط الفجار ، وذوي الاستقامة . ان يسوع لقادر أن يخلّص أشر الخطاة ... فثق اذاً : يسوع قادر ان يخلصك أنت أيضاً !

وفي الواقع ان الخطاة هم الذين يحق لهم ان يطالبوا يسوع بانقاذهم. أما يقول الكتاب : «لأن المسيح يسوع جاء الى العالم ليخلّص الخطاة» (١تي ١:١٥). وقال يسوع نفسه : «لم آت لادعو ابراراً بل خطاة الى التوبة» (مر ٢: ١٧) . فان كنت ما تزال مصراً على انك طيب وصالح،فلست اذاً بحاجة اليه. ولكن ان كنت مجرماً، خاطئاً، هالكاً ، وبدون رجاء ، خالياً من البر الذاتي ، فاعلم ان المسيح قد جاء من أجلك لكي يخلّصك .

أجل! يا صديقي ، اناشدك باسم مخلصي ان تتقدم الآن وتأخذ مكانك كخاطىء مجرم هالك ، وان تطالب بحقك لدى مخلص الخطاة. اتكل على عمله لأجلك ، لا على أعمالك من أجله. اعترف بان لا شيء عندك لكي تقدمه ، وان لا استحقاق فيك تُقبل به ، واستند على ما عمله من أجلك على صليب الجلجثة ... ثبّت قدمك على الصخر ، يسوع المسيح . لان بره وعمله هما اساس خلاصك .

لقد بينت لك الاساس الحقيقي والاسس الباطلة للخلاص . «وها أنا اشهد عليكم السماء والارض هذا اليوم باني قد وضعت أمامكم الحياة والموت . وادعوك ان تختار الحياة». ويطلب منك الله أن تختار. لا بد من اتخاذ قرار، وعليك أنت أن تتخذ هذا القرار .... اذاً عليك أن تختار وأن تختار المسيح . «آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص» . هلا تفعل ذلك ؟ هلا تفعله الآن فتحيا !

٧

أعظم عظة سمعتها

حدث ذلك وانا في الثامنة عشرة . كنت احضر ، بعد تجديدي بقليل، صف درس الكتاب في احدى الكنائس المشيخية في تورنتو. وفي أثناء الجلسة سمعت بعض الرجال يبحثون في أمر راعٍ جديد تسلّم رعاية كنيستهم. وتكلموا عن الجموع الحاشدة التي كانت تجتمع لسماعه ، وعن رسالته الانجيلية . اما اسمه فهو ج . د . مورو وهو رياضي لامع أحرز عدة جوائز كسبّاق .

وفي الحال أعطيت كل انتباهي كأنما شيء في قلبي الغض قد تجاوب مع ما سمعت. فعقدت النية الا افلت الفرصة في حضور اجتماع القس مورو وسماع رسالته .

وفي أمسية أحد اذا بي داخل كنيسة القس مورو . وسرعان ما امتلأت المقاعد كلها! وكان الانفعال بادياً على كل جانب . واذا بالقس مورو يعتلي المنبر ويبدأ الخدمة ...

كانت تعلو وجهه ابتسامة. وبينما كنت الاحظه تحققت انني اتطلع الى قائد مرموق في استطاعته أن يعمل عجائب في خدمة الله ...

كان الترتيل مؤثراً غاية ما يكون فقد استخدمت الترانيم الانجيلية القديمة . وكان القس مورو يقود بنفسه الترانيم. كانت الخدمة ، بوجه الاجمال ، غاية في الروعة والبهجة واللذة . وقد تجاوب قلبي الصغير في الحال .

ولكن جذب التفاتي اكثر من اي شيء آخر رسالة القس مورو وقد بنى كلامه على ما جاء في سفر ارميا ٨:٢٠ «مضى الحصاد انتهى الصيف ونحن لم نخلص» . ومن ثم بدأ بصوت ملؤه الروعة والجلال ، يناشد رعيته ان يتخذوا قرارهم بالتسليم ليسوع المسيح ، ولن أنسى له ابداً هذا الموقف. ومع انه قد مضت سنوات كثيرة جداً الا انني ما زلت اذكره . اضطرم قلبي يومذاك وتركزت عيناي في الواعظ وهو يتكلم . وكم كان صوته حنوناً رقيقاً وهو يناشد شعبه . أما الجمهور فكانوا في صمت تام ينصتون الى كل كلمة . وكان يعيد كلمات آيته مرة تلو المرة قائلاً : «مضى الحصاد . انتهى الصيف ونحن لم نخلص»... وقد ساد الاجتماع جو لن أنساه، وكنت أنصت الى رجل غيور ، رجل يشعر بكل كلمة ينطق بها وكان كأنه رجل يموت يتحدث الى شعب يموت كاشفاً النفوس التي أمامه متوسلاً ، راجياً ، مناشداً .

لم يكن يعرف القس مورو ان خَلَفَهُ، الذي كان في الثامنة عشرة من العمر ، كان يستمع اليه تلك الليلة . كنت ذلك الشاب . وقد أثارتني كل كلمة قالها الواعظ وحركت مكامن نفسي كما لم يحركني شيء

مثلها قبلاً . فأعجبني الرجل جداً ، وتعلق به قلبي . ومنذ تلك الليلة حتى الآن لا تزال الآية ترن في اذني .

تلكم يا اصدقائي كانت أعظم عظة سمعتها

أذكر ترنيمة اعتدت أن اسمعها وانا صغير ، وكانت ترنم في أيام د. ل. مودي وتستخدم غالباً في الاجتماعات الانتعاشية . ترنيمة تحذير وتنبيه . فهي تتحدث عن الحصاد، وتنذر بان يوماً سوف يجيء ويمضي الحصاد وسوف ينتهي الصيف . ترنيمة تبكت النفوس وتعطي السامعين توكيداً باقتراب الأبدية وتحذرهم من خطر التأجيل .

والآن أود أن اذكر اربعة امور عن الحصاد ، وكل أمر غاية في الأهمية .

اولاً : يوجد دائماً وقت معيّن للحصاد

لما كنت ولداً صغيراً، تعودت ان اشاهد قطارات محملة بالحصادين الذاهبين الى الاقاليم الغربية في كندا. وكان يحدث هذا سنوياً بانتظام مثل انتظام الساعة ، ويترك أثراً عظيماً في نفسي. صحيح أن مشهد القطارات كان يستغرق قرابة اسبوعين فقط ولكنه كان يسبب انفعالاً وحركة عظيمة بين الناس .

كانت تقف في محطتنا قطارات حصاد خاصة يوماً بعد يوم، ومن هناك تتجه الى مختلف الاماكن البعيدة لحصاد القمح العظيم الذي نضج واستوى . واذا لم يقوموا بالحصاد في الحال خسروا الغلة .

ولكن لما هذه العجلة ؟ لماذا لم يكن باستطاعتهم ان يؤجلوا الى غد او بعد غد؟ ولماذا ينبغي ان يكون الحصاد تقريباً في نفس الموعد من كل سنة ؟ ذلك انهم اذا لم يسرعوا الى الجهات الغربية في كندا

ويجمعوا المحصول ، فانه سيفقد ويفقد للنهاية . فلم يكن هناك مجال لتضييع الوقت، فاما جمع المحصول وخزنه في وقته أو فقدانه للأبد.

وما هو صحيح عن حصاد غلات الحبوب صحيح ايضاً عن الحصاد العظيم الروحي ! الحصاد الروحي ينبغي أيضاً جمعه وخزنه. وتوجد أوقات فيها يعمل روح الله في مجتمع او هيئة ما ، عندما يكرز بالانجيل وتخلص النفوس ،وعندما يقنع الروح القدس الكثيرين بحاجتهم الى المسيح . هناك أوقات افتقاد خاصة يجب ان يغتنمها الناس ويتخذوا فيها القرار الحاسم بشأن خلاصهم . واذا ضيّعوا مثل هذه الفرص تعرضوا للهلاك – الهلاك الابدي .

وعلى ممر القرون جاء مثل هذه الأوقات . لعلك تذكر سني الافتقاد في عصر نوح، وعساك تذكر ان هذا الرجل البار عكف على الكرازة ١٢٠ سنة ، منذراً ومحذراً الناس من الطوفان وحاضاً اياهم على الهرب من غضب الله. ولكنهم تجاهلوا انذاراته وتناسوا تحذيراته ولم يأبهوا بيوم الدينونة . سخروا بنوح ، ولكنه استمر يكرز ويكرز ويبني ، بينما الشعب – حتى النجارون الذين كانوا يصنعون الفلك لنوح – تجاهلوا التحذيرات وسخروا بكلماته .

عاش الناس في خطاياهم، انصرفوا عن الله وتوغلوا في الشر. لقد تميزت حضارتهم ومدنيتهم بالفساد والانحطاط والقسوة والوحشية ، الأمر الذي نهى عنه الله وحرّمه دائماً . ورغم الفساد الشامل الذي كانوا منغمسين فيه اعطاهم الله فرصة للتوبة .

وفجأة ، جاءت الدينونة التي سبق ان تنبأ بها نوح ، وغمرتهم: نزلت الأمطار ، واخذت المياه في الارتفاع شيئاً فشيئاً ، وأخيراً

تغطت كل الجبال. اما نوح وعائلته فكانوا داخل الفلك، وكان الباب قد أغلق. وكان جميع الباقين خارج الفلك، ففرقوا في مياه الطوفان.

وجاء يوم آخر للافتقاد وكان خاصاً بيهوذا واسرائيل. أرسل الله نبياً تلو نبي لكي يحذروا الناس، واعطيت لهم كل فرصة ممكنة للتوبة. واستغرق هذا التحذير أجيالاً كان الله فيها يرسل خدامه ليحذروهم من السبي المنتظر. ولكنهم لم يعيروا الانبياء اذناً صاغية، بل تمادوا في خطاياهم وعصيانهم. واخيراً جاء يوم القضاء فسقطت السامرة، وسقطت بعدها اورشليم، وسيق الشعب اسرى، وساد الجوع في كل المدن، وأكلت النساء اولادهن، وجرت الدماء في كل جانب ... كان يوم القضاء يوماً هائلاً. «مضى الحصاد».

وجاء يوم آخر للافتقاد عندما كان يسوع يحذر الناس من يوم الدينونة العتيدة. وكأن كلماته قد وقعت على آذان صمّاء حتى صرخ قائلاً: «يا اورشليم يا اورشليم يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها كم مرة اردت ان اجمع اولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا. هوذا بيتكم يترك لكم خراباً» (مت ٢٣: ٣٧، ٣٨).

وحلّ القضاء والدينونة، وذلك سنة ٧٠ ميلادية – وما كان امرّها وافظعها! يا للضيقة! يا للعذاب! يا لشقوة القلب! لقد جرت الدماء في شوارع المدينة، وعلقت على الجسور والطرقات آلاف الصلبان حتى بدت – كما وصفها يوسيفوس المؤرخ العظيم – كأنها غابة وعلى كل صليب تعلقت ضحية... وسيطرت الوحشية على المدينة حتى انتهى الأمر الى التشتت الى جميع انحاء العالم. وكان سبب هذه الكارثة الهائلة ان الشعب رفضوا يوم افتقاد الله ورفضوا الرجوع عن خطاياهم.

مضى الحصاد، وانتهى الصيف، ولم يخلصوا. يا للمصيبة!

نحن أيضاً عرفنا يوم افتقاد الله. لم يتسع، في تاريخ البشرية، نطاق التبشير بالانجيل اتساعه في عصرنا! فان تجاهلنا نداء الرحمة ورفضنا النعمة فسيحلّ علينا يوم الدينونة ولا مفرّ من الهلاك. «مضى الحصاد انتهى الصيف ونحن لم نخلص»!

ثانياً: لا حصاد بدون الله.

مع ان الانسان يستطيع أن يغرس ويسقي، ولكن الله وحده هو الذي ينمي. هناك اناس يكرزون ويعلّمون، وهناك من يحذرون ويحرّضون، هناك من يتوسلون ويلتمسون، وهناك من يفعلون كل ما يمكن فعله في حث الشعب على المصالحة مع الله. ولكن بعد أن يسعى الانسان جهده، يبقى أمر الانماء في يد الله. لأن الله وحده هو الذي يستطيع ان يخلص البشر.

هل تتذكر كلمات الرب يسوع المسيح في انجيل يوحنا ٦: ٤٤ «لا يقدر أحد ان يُقبل اليّ ان لم يجتذبه الآب الذي ارسلني». هذه يا عزيزي عبارة من أخطر العبارات في كلمة الله! فربما يخطر على بالك انه يمكنك ان تخلص متى اردت، وربما تفتكر انك تقدر ان تقبل المسيح، عندما تكون مستعداً، واريد ان اقول لك انك لن تقدر ان تفعل شيئاً من هذا القبيل بل يجب ان تقبل يسوع المسيح في اثناء يوم الافتقاد، عندما يعمل الروح القدس في قلبك.

وهل لي ان اسألك: هل شعرت بتودد الروح القدس لك؟ هل شعرت ابداً ان الله يجتذبك اليه؟ هل انتك رغبة قلبية لتقبل يسوع المسيح مخلصاً شخصياً لك؟ هل تتذكر لحظة كنت تتوق فيها ان

تخلص ، وان تختبر الولادة الجديدة ؟ هل مرّ عليك وقت كنت فيه مثقلاً ومهموماً بشأن خلاص نفسك؟ هل تعرف شيئاً عن قوة الروح القدس المبكتة ؟

يا عزيزي ! ان كنت قد شعرت بشيء من ذلك ، فمعناه انك قد سمعت صوت الله ، وعلمت انه صوت الله . ان الله نفسه كان يتكلم اليك ، والروح القدس كان يحثك لكي ترجع وتخلص . ذلك هو الوقت الذي كان ينبغي ان تتخذ فيه قرارك . اخشى ان يكون قلبك الآن متقسياً بارداً ، عديم الاهتمام . اخشى ان يكون التبكيت قد زال وامحى ، وان الروح قد مضى عنك ، وان الله قد حول وجهه عنك .

ان الله لا يتخلى عنك ما لم تتخلّ انت عن الله . ولكن ان اصررت على مقاومة الروح القدس، وعلى رفض المصالحة مع الله فستزول عنك الرغبة في ذلك. واعلم ان كل مرة ترفض فيها، تزيد من الصعوبة في المرة التالية ، وكل مرة فيها تقول «لا» تجعله من الصعب عليك ان تقول «نعم» بعد ذلك .

اجل يأتي وقت فيه يزورك روح الله ويقترب منك ، ويحثك ويحذرك ويتوسل اليك! انه وحده يستطيع ان يخلّص نفسك، وما لم يفعل هو ذلك فلن يحدث ابداً . لا حصاد بدون الله . وبالتالي «اليوم ان سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم» (عب ٤:٧) .

لا تظن ان الناس يقدرون القيام بحملات انتعاشية ، وتدبير الترانيم والاعلانات، وتعيين المرتلين والمتكلمين ثم يأمرون الله بالحضور والعمل. وبقدر ما يستجيب الله صلوات شعبه يتحرك روحه، وبقدر

ما يتحرك روحه تخلص نفوس. ان المسألة جدية ، وجديرة بانتباهنا: ان الانسان لا يقدر – متى اراد – ان يأتي الى الله ، بل يجب ان يعمل فيه روح الله .

فان كنت، يا عزيزي ، ترفض يوم افتقاد الله ، فسيذهب عنك ولا يعود ثانية . فاناشدك ان تمتحن قلبك وان تسأل نفسك عما اذا كان الروح القدس يعمل فيك أم لا ، عما اذا كنت قلقاً على خلاص نفسك أم لا ، عما اذا كان الله ما يزال يقترب الى نفسك أم لا . واكرر عليك : لا حصاد بدون الله ، « لا يقدر احد ان يقبل اليّ ان لم يجتذبه الآب » .

ثالثاً : الحصاد يجمع دائماً عند اكتمال نضجه .

هل تعلم ان عدداً قليلاً من الناس يخلصون بعد بلوغهم سن الثلاثين، وان معظمهم يخلصون قبل ان يبلغوا الخامسة والعشرين من العمر ؟ وفي الواقع ، كل مرة قمت بسؤال جمهور الحاضرين ، اكتشفت ان الاغلبية الساحقة خلصوا في العقد الثاني من عمرهم ؟ يا عزيزي ، هذه حقيقة هامة وخطيرة ! اذا كان عدد قليل من الناس يخلصون بعد بلوغهم الثلاثين، واذا كانت الاغلبية الساحقة تخلص قبل ذلك، فماذا عن نفسك ؟ هل انت فوق الثلاثين ؟ ان كنت كذلك ففرصتك ضعيفة جداً .

ان الحصاد يجمع ويخزن عندما ينضج ، ويجب ان يتم ذلك في عنفوان نضجه . وان روح الله يتحرك بقوة على شبابنا وهم على عتبة الحياة . فاذا قاوموه وتقسوا ، اضحى خلاصهم ، تدريجياً ، اصعب فاصعب ،حتى اذا ولّى الشباب، وزحفت اليهم الكهولية فالشيخوخة

وجدوا ان قلوبهم ما عادت تتجاوب ، واكتشفوا انهم ينتمون الى اولئك الذين يقبلون المسيح – لا كجماعات ، بل كواحد او اثنين .

وقد يكون مرد ذلك الى انهم يتقسون بالخطية ، وتتأصل فيهم العادات . من السهل التغلب على العادات في بدئها ، ولكن اذا ما التفّ الخيط مرة ومراراً ، صعب قطعه . فهل تتذكر كيف كان شعورك لما اخطأت اول مرة ؟ وهل تتذكر ماذا حدث فيما بعد ، وكيف انك تعودت ارتكاب تلك الخطية .

حدث في الأول تبكيت عظيم : كنت في قلق ، وانزعاج من قبل ضميرك ، ولكنك لم تسمع ! ثم سرت في طريقك الى ان صرت ترتكب الخطية ويندر ان يبكتك ضميرك . ان كل ما يحصل هو ان يحول الانسان نظره ويرفض السماع لتحذيرات الساعة مرة تلو المرة حتى يفقد حساسيته للسمع . وهكذا الحال مع الخطية . انها تمسك بك اولاً ، ثم تشتد شيئاً فشيئاً حتى تسيطر عليك وتسودك . فيسكت الضمير ويبطل عمل التنبيه والانذار بالخطر ... واخيراً تفقد السمع .

وبذلك يستمر الانسان في خطيته متجاهلاً روح الله . فعندما تمسك بك الخطية لا تستطيع تركها او التخلص منها بل تضحي عبداً لها وتصبح هي سيدة لك ! ومن ثم عندما تنجح الخطية في اسكات الضمير واطفاء روح الله ، تستمر انت في عصيانك . وكلما تقدمت في الأيام تزداد الصعوبة في الرجوع عن الخطية وقبول يسوع المسيح مخلصاً !

يا عزيزي ! ماذا فعلت مع نفسك ؟

هل انت في مطلع حياتك وعنفوان شبابك ؟ هل انت في العقد الثاني من عمرك ؟ فلماذا اذاً لا تقبل الرب يسوع المسيح الآن ، قبل أن يفوت الأوان ؟ أم هل تجاوزت الثلاثين من عمرك وأوشكت على الأربعين ؟ فمن ثم اقول لك : احترس واحترز ، فان فرصك ضعيفة وستجد صعوبة اكبر كلما مرت عليك سنة .

«هوذا الآن وقت مقبول. هوذا اليوم يوم خلاص» (٢ كو ٦:٢).

رابعاً : ان للحصاد نهاية

أجل ! «مضى الحصاد انتهى الصيف » . فهل أنت من بين الذين يقولون «ونحن لم نخلص»؟ يا للرعب ! وهل تعلم ماذا يحدث للحبوب التي لا تخزن ؟ انها تترك في الحقول لتهلك . فهل هذه نهايتك ؟ هل مصيرك الهلاك ؟

اسمع، يا عزيزي ، ان كان روح الله قد كف عن محاولاته معك، فمعنى ذلك ان الحصاد قد مضى بالنسبة لك! وان كانت هذه الفصول من الكتاب قد انتهت وأنت لم تخلص بعد، فقد يكون معنى ذلك ان الحصاد مضى بالنسبة لك ! ان كانت الخطية لا تقلقك ولا تقضّ مضجعك،وان كنت غير مهتم بنفسك فمعنى ذلك ان الحصاد قد مضى بالنسبة لك ! وان كان الروح القدس لا يبكتك ... وان كان قلبك بارداً جامداً فمعنى ذلك ان الحصاد قد مضى بالنسبة لك !

هل تذكر كلمة الله القائلة:«لا يدين روحي في الانسان الى الأبد» أجل ! سيأتي الوقت عندما يبطل روح الله أن يدين ، لأنك قاومت

كل محاولاته . لقد أحزنت روح الله القدوس، لأنك بالرغم عن كل عمله من أجلك ، لم تأت . فبالنسبة لك مضى الحصاد وانتهى الصيف وأرجو ألا يكون قد فاتك الأوان !..

ولكن ، يا عزيزي ، ان كنت تقبل المسيح، الآن ، فلن يكون هذا متأخراً . واذا لم تقبله ، فسوف تجد نفسك بين الذين يصرخون قائلين : «مضى الحصاد انتهى الصيف ونحن لم نخلص» فهل هذا هو نصيبك ؟

من المؤكد ان هذا سيكون مصيرك اذا واصلت سيرك في نفس الطريق«الكثير التوبيخ المقسّي عنقه بغتة يكسّر ولا شفاء«ام٢٩:١). فتعال اذاً . اتكل على الرب يسوع فتخلص (اع ١٦:٣١) .

هلا تفعل ذلك ؟ هلا تفعله الآن فتخلص ؟

مطبعة قلفاط - بيروت